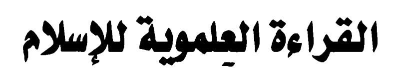
القراءة العلموية للإسلام !

أحمد خيري العمري أنموذجا



تبصير
للنشر والتوزيع
تقريب التراث
والرد على الشبهات

تأليف
أحمد عصام النجار

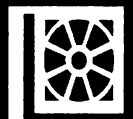


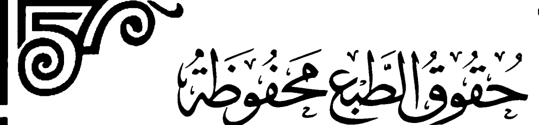
القراءة العِلموية للإسلام

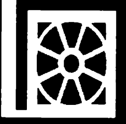


أحمد خيري العمري أنموذجًا






الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ/ ٢٠٢١ م

اسم الكتاب: القراءة العِلموية للإسلام

اسم المؤلف: أحمد عصام النجار

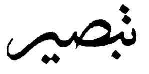
الطبعة الأولى: ١٤٤٢ هـ/ ٢٠٢١ م

مقاس الكتاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٢٠٨ صفحة

رقم الإيداع: ١٣٨٥٦/٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٣-٤١-٦٧١٣-٩٧٧-٩٧٨





العنوان : ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية – جمهورية مصر العربية

التليفون : ٠١٠١٩٧٥٧٠١٠ – ٠١١٠٢٢٦٠٠٢٠

Fb: @tbseir

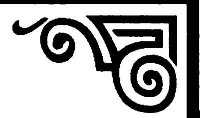
twitter : @tabseir

website : http://tbseir.com











القراءة العِلموية للإسلام

أحمد خيري العمري أنموذجًا

تأليف

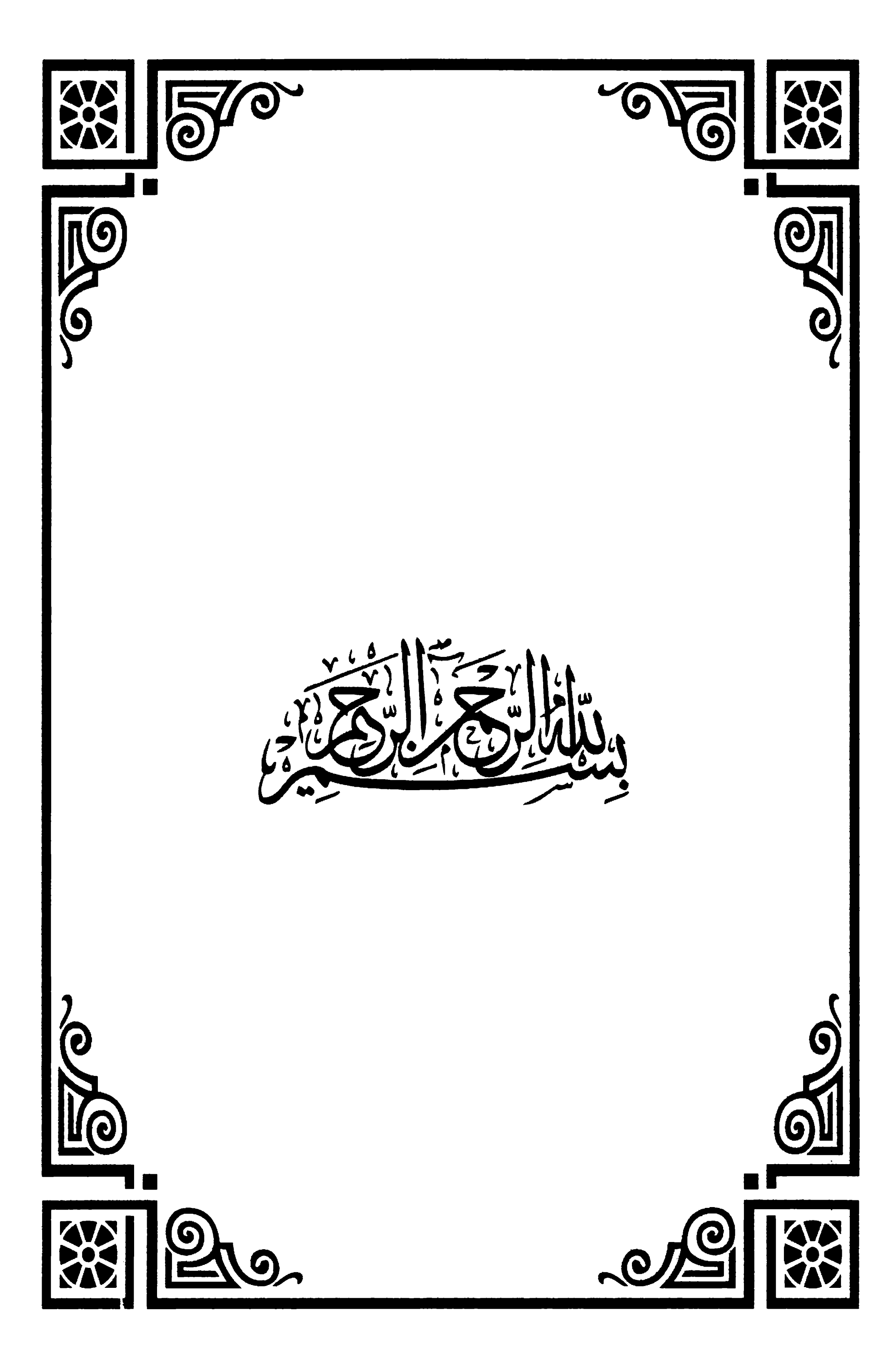
أحمد عصام النجار











بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وآل بيته وأصحابه أجمعين، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وأسأل الله التوفيق والسداد.. **وبعد:**

فإن التعثر والانزلاق في دوائر الشك فتنة لا يسلم منها كثير من الناس، وبمرور الدهر تزداد الدائرة اتساعًا، وأضحىٰ الثغر أشد صعوبة وضررًا، فلا مفر من الوقوف علىٰ تلك الثغور، وهو جهاد عظيم، فعقيدة الفرقة الناجية من المسلمين هي أنفس الجواهر، وهي التذكرة الماسيَّة للنجاة من النار والنعيم الأبدي في الجنة، وهي الإجابة اليقينية الصحيحة الوحيدة في اختبار الحياة الدنيا، فمَن علمها وعمل بها سَلِم، ومن علمها ورفضها هواه خاب وخسر.

ولذلك، فإن جهاد العلماء في القرن الواحد والعشرين من الميلاد من أعظم الجهاد؛ لأن الحروب في هذا القرن باتت عقلية فكرية في كثير من جوانبها، بل إن الاستعمار الفكري العقدي هو البديل الحقيقي الفاعل في واقع الأمة، فلا حاجة للسلاح ما دام العدو خاضعًا لمعتقدات الغالب، وقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة من خضع لغالبٍ صاحبِ عقيدة فاسدة، فلا أصبح هو الغالبَ في الدنيا، ولا نجا في الآخرة!

العقيدة هي أهم علوم الدين علىٰ الإطلاق، والعقيدة الصحيحة أهم للإنسان من الماء والهواء، فالعقيدة الصحيحة تُنجي في الدنيا والآخرة، والفاسدة تُهلِك في الدنيا والآخرة، والنجاة كلها في العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالعلم بشرف المعلوم، ومعلوم العقيدة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرحمن الرحيم الملك القدوس الأول والآخر والظاهر والباطن، والابتداع في العقيدة أشد خطرًا علىٰ الإسلام والمسلمين من الابتداع في أيِّ علم شرعي آخر، وقد حذرنا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع كلها، مهما بدت في ظاهرها بسيطة، فما ضلال الأمم السابقة إلا نتاج تراكم البدع التافهة.

ولهذا؛ فقد كتبت هذا البحث الميسر ضمن سلسلة من المؤلفات نويت تصنيفها في نقد حركة الإلحاد الجديد وأذنابها المتأسلمين، وأسأل الله أن يوفر لي الوقت والتوفيق لإتمامها.

ورأيتُ أن أبدأ الأمر بالرد علىٰ انحراف بعض الدعاة المنتمين لما يُدعىٰ بـ«الفكر الإسلامي» الذين يعملون علىٰ نشر فلسفات وأفكار حركة الإلحاد الجديد في الأوساط الإسلامية عبر الابتداع في عقيدة المسلمين، مثل بعض المتصدرين المعاصرين في محاولات بائسة للتوفيق بين العلم الزائف والإسلام، أو المتصدرين دون علم كافٍ ودون وعْيٍ حقيقي في مختلف الثغور، الذين يتسببون بشكل أو بآخر في نشر الفلسفات الشعبوية الإلحادية التي تتعارض مع صريح الدين.

ولا أريد في هذه المؤلفات الردَّ علىٰ شبهاتهم نفسها بقدر كشف الغطاء عن التهافتات والتناقضات المنهجية الواردة في بعض كتبهم المنتشرة في الأوساط الإسلامية، وأزعم أن هذا كافٍ إلىٰ حدٍّ كبير؛ ولذلك أحاول في هذا البحث الاقتصاد في التفصيل العلمي، وأؤكد وأفصِّل قدر الإمكان بدلًا من ذلك علىٰ التناقضات والأخطاء المنهجية.

أحمد عصام النجار

٢٨/ ٥/ ٢٠٢١م - ١٦/ ١٠/ ١٤٤٢هـ



مصطلح العلم

العِلْمُ: هو معرفة الشيء، أو إدراك الشيء علىٰ حقيقته إدراكًا جازمًا، ومن الممكن توصيف المعرفة بأنها تمثيلٌ للحقائق الخارجية والذهنية(١)، والعلوم الحقيقيَّة: هي التي لا تتغير بتغير الملل والأهواء، والعَلوم الشرعيَّة: هي العلوم الدينيَّة كالفقه والحديث والعقيدة وغيرها. والعلم نافع وفاسد، فالأول هو ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، والثاني هو ما يضره ويهلكه.

ومن الخطأ ترجمة كلمة «العلم» إلىٰ «Science» بالإنجليزية، بل الأحرىٰ والأدق ترجمتها إلىٰ «Knowledge»، أي: المعرفة؛ وذلك لأن كلمة «Science» تُطلق حقيقةً علىٰ العلوم التجريبية، أي: العلوم الناتجة عن منهجية البحث التجريبي من مشاهدات واختبار وقياس، سواءً كان ذلك للظواهر الطبيعية الفيزيائية أو للظواهر الاجتماعية(٢)، ومع ذلك، فإن أغلب التعريفات الواردة في المراجع العلمية لمصطلح «Science» تقول بأنه مصطلح مختص

---

(1) Gregory, R. (2004). knowledge. In The Oxford Companion to the Mind. : Oxford University Press. Retrieved 18 May. 2021.

(2) Kent, M. (2006). science. In The Oxford Dictionary of Sports Science & Medicine. : Oxford University Press. Retrieved 18 May. 2021.

بدراسة الظواهر الطبيعية الفيزيائية عبر منهجية البحث التجريبي فقط[١]، أي أن المصطلح مقيد بنطاق الظواهر الطبيعية الفيزيائية من عين المَدروس، وبنطاق البحث التجريبي من المنهجية.

أي أن المصطلح «Science» هو جزء واحد من المعرفة البشرية، وذلك بعكس كلمة «Knowledge» والتي تعني: توصيف الحقائق والمعلومات المكتسبة عبر الخبرة والتعليم النظري أو العملي[٢]، أي أن «العلم» في العربية تقابل «Knowledge» بالإنجليزية؛ لأن العلم بشكل عام ليس مقيدًا بمنهجية محددة ولا بنطاق دراسة محدد، فالعلم هو معرفة وإدراك الشيء علىٰ حقيقته، وليس إدراك شيء بعينه عبر منهج بعينه.

وبيان هذا الخطأ الشائع هام لئلَّا يقترن مصطلح «العلم» في أذهان

(1) "science". Oxford Dictionaries. Oxford University Press, n.d. Web. 18 May 2021.
<https://premium.oxforddictionaries.com/definition/english/science> via Oxford Dictionaries Online.

(2) "knowledge". Oxford Dictionaries. Oxford University Press, n.d. Web. 18 May 2021.
<https://premium.oxforddictionaries.com/definition/english/knowledge> via Oxford Dictionaries Online.

السامعين بالعلوم الطبيعية التجريبية «Science» فقط، فالعلم معرفة الحقائق، بغض النظر عن نطاق تلك الحقائق، وبغض النظر عن المنهجية المُستخدمة في الوصول إلىٰ تلك الحقائق.

مصادر المعرفة

للمعرفة البشرية عدة مصادر، وهو مجال فلسفي[1] يستوعب عددًا مختلفًا من المدارس المتجادلة، لكن بشكل عام تنقسم مصادر المعرفة حسب «موسوعة ستانفورد للفلسفة» إلىٰ خمسة مصادر رئيسة:

١- الإدراك الحسي.

٢- الفحص الذهني الداخلي / الوجدان.

٣- الذاكرة.

٤- الفحص المنطقي.

٥- الشهادة / الخبر.

أما الأول: فهو إدراك الأشياء الخارجية عبر الحواس، وذلك عبر الرؤية والسماع واللمس والشم والتذوق.

وأما الثاني: فهو الفحص الذهني لِما في داخل المرء، أي: الوجدان، كأن

(١) وهو علم الابستمولوجيا «Epistemology»، أو ما يُدعىٰ بنظرية المعرفة « Theory of Knowledge» في الفلسفة.

يُدرك الشخص بأنه عطشان أو جائع أو مكتئب أو غير ذلك.

وأما الثالث: فهو استرجاع المعلومات والحقائق المكتسبة في الماضي والمخزنة في الدماغ.

وأما الرابع: فهو الفحص المنطقي للأمور بشكل مستقل عن التجربة الفعلية، ويُستخدَم فيه علم المنطق.

وأما الخامس: فهو العلم عن طريق الخبر، أي أنه أخبرني (س) عن (ص) عن (ع) عن (ج) معلومة ما، فإن كانت المصادر (س) و(ص) و(ع) و(ج) مصادر موثوقة وقد تحقق فيها معايير الصدق فإن الخبر صحيح، وتختلف مصداقية هذا المصدر بحسب المنهجية المتبعة للتحقق من الأخبار(١).

أي أن الخبر مصدر من مصادر المعرفة البشرية، أي أن «الوحي» والخبر عنه مصدران معتبران من مصادر المعرفة البشرية الهامة إن تحقق فيهما شروط التصديق، كأن يكون الخبر غير متعارض مع المشاهدات الحسية مثلًا، وهذا أصل محوري في تصديق أيِّ خبر، وهو منهج الإسلام العظيم، وسنفصِّل في ذلك لاحقًا.

أي أنه لا يشترط في المعرفة البشرية التجربة المباشرة، فهذه الصفحات

---

(1) Steup, Matthias and Ram Neta, "Epistemology", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2020 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/fall2020/entries/epistemology/>.

التي تقرؤها الآن تحتوي علىٰ مجموعة من الأخبار من مجموعة مختلفة من المصادر، فلو اخترتَ ألا تصدِّق المكتوب هنا إلا بالتجربة المباشرة لكان الأمر بالغ الصعوبة؛ لأنه خبر عن خبر عن خبر، أي مصدر عن مصدر عن مصدر، وذلك يتطلب عملًا بحثيًّا ضخمًا في كافة الأخبار ومصادرها، ولكن قراءتك لتلك الكلمات يعني أنك ضرورةً تؤمن بالخبر كمصدر من مصادر المعرفة البشرية!

مصطلح العِلموية

«العِلموية»(١) مصطلح من أهم ما طرأ علىٰ الإطار العَقَدي والفكري في القرون الأخيرة، وترجع أهميته أنَّه يمثِّل دينًا جديدًا واسع الانتشار في المجتمع الغربي، وهو دين كغيره من الأديان يعتقد أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل، ومع ذلك فإن أغلب معتنقيه يؤمنون بالحقائق النسبية غير الموضوعية.

العلموية دين يتخبط معتنِقوه في وَحل من المغالطات، ولا يجمعهم إلا كراهية الشرائع السماوية، حيث انبثقت في المجتمع الغربي من رَحِم مقْت الناس للمؤسسة الكنسية، ومع ذلك فهي ديانة يرفض معتنقوها الاعترافَ بأنها حقًّا ديانة.

أيضًا، من المثير للاهتمام أنها عقيدة تقتات علىٰ الدوغمائية المحضة، ويمتاز معتنقوها أنهم عادةً ملاحدة، أو متشربون بفلسفات الملاحدة من

---

(١) بالإنجليزية: (Scientism).

أصحاب الديانات الأخرىٰ، فالعلموي ليس بالضرورة ملحدًا، وإنما قد يكون مسلمًا، أو نصرانيًّا، أو هندوسيًّا، أو حتىٰ «مفكرًا إسلاميًّا» إن صح هذا التعبير.

للعلموية تعريفات عديدة، وكلها تصب في معنًىٰ واحد، وهو أن منهجية البحث التجريبي هي المصدر الوحيد المقبول للمعرفة الإنسانية، ولا قيمة للآداب واللغة والفلسفة وغير ذلك، فما يقرره البحث التجريبي هو الحق والعقيدة، وما سوىٰ ذلك فليس بشيء، حيث تحصر العلموية العقلَ البشري والمعرفة البشرية في العلم الطبيعي التجريبي فقط.

أي أنها تحصر المعرفة البشرية في مصطلح «Science» فقط، أي أنها بذلك تنكر أيَّ معرفة بشرية غير ما يختص بدراسة الظواهر الطبيعية الفيزيائية، وتنكر أيَّ مصدر من مصادر المعرفة غير الإدراك الحسي المباشر(١)، ومع ذلك فإن العلمويين يُعمِلون كافة مصادر المعرفة الأخرىٰ بالضرورة، فهم يُعمِلون بالضرورة الفحص الذهني الداخلي، والذاكرة، والفحص المنطقي، بل وحتىٰ الخبر أيضًا، فلا سبيل لمنع الفحص الذهني الداخلي والذاكرة في الحياة اليومية أصلًا، ولا سبيل للبحث التجريبي ذاته إلا باستخدام الفحص المنطقي للاستنباط والاستقراء، ولا سبيل للتقدم المعرفي إلا بالتراكم، ولا سبيل للتراكم المعرفي إلا عن طريق الخبر.

أي أنه لا بد للباحث العلمي من قراءة الأبحاث السابقة المنشورة في

(١) أي أنها لا تعترف إلا بأول مصدر من مصادر المعرفة التي أوردناها.

الدوريات والكتب وتصديقها والعمل علىٰ نتائجها؛ ليعمل بدوره علىٰ مزيد من التقدم لما تقدَّم من العلم، فلو همَّ عالم للبدء في بحثٍ ما مستخدمًا النسبية العامة لآينشتاين، لكان تصديقه لتفاصيل النظرية أصلًا مبدئيًّا ينطلق منه، يأخذه عن طريق الخبر لاستكمال بحثه، فلا حاجة له لإعادة كافة تجارب آينشتاين نفسه مرة أخرىٰ للتأكد من صحة تجاربه واستنتاجاته، بل عليه تصديقها من الخبر ثم العمل بناءً علىٰ نتاج آينشتاين مباشرةً.

مع هذا، فإن من المثير للاهتمام أن العِلمويين أنفسهم يعترفون بقصور الحس الذي يعتقدون أنه هو المُدخل الوحيد للبحث التجريبي، أي أن العلم التجريبي عندهم لا يأتيه الباطل بالرغم من قصور مُدخله الوحيد! ولكنه كذلك عندهم عندما يتعلق الأمر بالغيبيات، أو ما يصنفونه هم من الغيبيات، وإلا في حقيقة الأمر أن عددًا كبيرًا من مباحثهم المزعومة هي في واقعها غيبيات.

تنتشر النزعة العلموية في عدد هائل من الأوساط الأكاديمية الغربية، وبالتالي فإنها قد استشرت في الأوساط الإسلامية بشكل أكبر من أي وقت مضىٰ، فأصبح العلم التجريبي «مقدَّسًا» من قِبل كثير من العوام نتيجةً لتمرير هذا «التقديس» من الشخصيات العامة.

أما الأسوأ فهو تبنِّي الفلسفة العلموية في إطار الشريعة الإسلامية، وذلك ما يعمل عليه عدد كبير ممن ينتمون زورًا إلىٰ الفكر الإسلامي، كما أن ذلك أصبح اتجاهًا رائجًا بين الشباب نتيجة انتشار ذلك الفكر في كافة الأوساط من حولهم، وخطر هذه الفلسفة عظيم لو تفكَّرنا.

أزعم أن خطر استيراد الفلسفة الغربية إلىٰ الإسلام علىٰ الإسلام هو أخطر تهديد وجودي للدين كله؛ فقد تسببت مثل تلك الاتجاهات في ظهور وانفصال عدد كبير من الفرق التي خرجت من بين المسلمين فيما سبق حتىٰ أصبحت هي الفرق السائدة في معظم البلاد الإسلامية، كانتشار الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في قرن من القرون نتيجة استيراد الفلسفة اليونانية.

وفي العقود القليلة السابقة بدأ اتجاه رائج في مختلف الأوساط الإسلامية في استيراد عدد كبير من الفلسفات الغربية، ثم محاولة التوفيق والتلفيق بين شريعة الإسلام وبين تلك الفلسفات، ومن تلك الفلسفة «الإنسانوية» ومركزية الإنسان، و«العلموية» ومركزية العلم التجريبي، و«النسوية» وغير ذلك.

وأزعم أن خطر العلمويين الإسلاميين، والإنسانويين الإسلاميين، والنسويين الإسلاميين علىٰ الإسلام أكبر من العلمانيين والملاحدة أنفسهم، حيث إن الملاحدة ينكرون عقائد المسلمين كما هي، أما الإسلاميون المذكورون فيعملون علىٰ تحريف وتغيير ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منطلق اعتقادهم بأنه الدين الحق الذي غفل عنه الصحابة والتابعون الكرام!

ومِن ذلك أنْ أصبح من الرائج تفسير آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بتفسيرات شخصية من كل «إسلاموي» لتتوافق مع الفلسفة الغربية التي يتبناها، أو حتىٰ أن كثيرًا منهم يرد السنة النبوية كلها ليتخلص من عِبْء النصوص المُحكَمة فيها، وكثير منهم يردها كلها إلا قليلًا، فيقول الإنسانوي الإسلامي: إن حرية الاعتقاد في الإسلام مطلقة دون تقييد، ويقول

بأن للشذوذ الجنسي حقًّا مكفولًا، وذلك عبر تفسيرات فاسدة متهافتة للنصوص؛ فينطلق هؤلاء بدايةً مما يشرعه السيد الأبيض، ثم إلىٰ تفسير القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بأي تفسير متهافت ليتوافق مع تشريع السيد الأبيض، ثم يضربون بآراء العلماء عرض الحائط.

بل وإن الأمر قد وصل إلىٰ استيراد الجهل أيضًا، فالعلموية مثلًا لا يتبناها غالبًا إلا من جهل فلسفة العلم وفلسفة الدين، مثل ريتشارد داوكنز ولورانس كراوس، وهما شخصيتان محوريتان في كافة أطروحات العلمويين الإسلاميين، وقد كان نتيجة ذلك أنْ جهل مريدو تلك الفلسفات من الإسلاميين فلسفةَ العلم وفلسفة الدين، كما جهلها سيدهم الأكاديمي الأبيض.

ومن أبرز ما استورده المسلمون -أيضًا- رغبةً تارةً وعنوة تارةً أخرىٰ: هو الفكر القومي ونزعته، تلك التي مزقت المسلمين في كل جانب من الأرض فأصبحوا فرادىٰ يتلقفهم العدو؛ لذلك كله، يتبيَّن لنا خطورة تبني الفلسفات الغربية دون تدقيق وتمحيص.

ولهذا السبب؛ فقد صنَّفت هذا الكتيب لفحص نموذج من النماذج المتبنية للفلسفة العلموية في الأوساط الإسلامية، والتي -كما سنرىٰ- قد أنكرت ثوابت عقدية هامة أجمع عليها المسلمون بسبب هذا التبني.

تعارض العلم والدين

إن العلم التجريبي جزء من المعرفة البشرية، وكذلك الدين، وعليه فإن العلم التجريبي الحق يتفق مع الدين الحق، والعكس صحيح، فالدين الحق

يتفق مع العلم التجريبي الحق، وذلك علىٰ كافة الأصعدة والنِّطاقات، أي أن الدين الحق لا يتعارض مع علوم الفلسفة والاجتماع والسياسة وغيره، فالحق والحق يثبت بعضه بعضًا ولا يتعارضان.

لذلك، فإن القاعدة العامة التي عليها أهل السنة والجماعة: أنه لا تعارض بين النص الصحيح والعقل الصريح، أي أن الإسلام العظيم لا تعارض بينه وبين العلم التجريبي الصحيح الثابت القطعي، وعليه فإنه لا يُقَدَّم العقل علىٰ النقل علىٰ الإطلاق، ولا يُقَدَّم النقل علىٰ العقل علىٰ الإطلاق، وسنفصِّل في ذلك لاحقًا.

أما العِلموية فهي اعتقاد في أصله متناقض كما بيَّنَّا، وما ذلك إلا لجهل معتنقيها بالمباحث العقلية في أصول المعرفة، وعليه فإن الإسلام العظيم لا يتفق مع العِلموية من حيث الأصل، ولا يتفق أيُّ عالم حقيقي مع العِلموية من حيث الأصل.

إذًا، فإن اعتناق العِلموية كمذهب عقدي داخل الإسلام هو أصل مبحثنا هنا، وهو موطن الانتقاد لما تحويه الأطروحات العِلموية التي تقدس «العلم التجريبي» من مغالطات منطقية وأخطاء منهجية فادحة تصل إلىٰ حد التدمير الذاتي، وعليه يعتقد متبني تلك الأطروحات من الإسلاميين أنه لا مفر من التوفيق بين الإسلام العظيم وبين أي نظريات متهافتة تتبناها العِلموية.

ومن الناحية التاريخية فإن العلم الطبيعي أبدًا لم يكن متعارضًا مع الدين، وبخاصةً الإسلام العظيم، فكثير من علماء السلف كانوا في ذات الوقت فلاسفة

وعلماء تجريبيين، فمنهم من صنَّف في الفقه وفي الفيزياء والرياضيات في ذات الوقت، ومنهم من صنَّف في الاعتقاد وفي المنطق والفلك وغير ذلك.

ولم يكن ذلك الأمر خاصًّا بالمسلمين أبدًا، فإن الاعتقادات اللاهوتية عند النصارىٰ قد ساهمت في انطلاق بعض القفزات العلمية التجريبية في الفيزياء علىٰ وجه الخصوص، فإن عددًا كبيرًا من الكهنة في أوروبا كانوا علماء تجريبيين باحثين في مجالات عدة، وسنفصِّل في ذلك لاحقًا.

فإن كان الأمر كذلك عند النصارىٰ، فالمسلمون أحق بالتوافق الكامل بين دينهم العظيم وبين العلم التجريبي، فإن النصرانية محرَّفة، وفي نصوصها ما يتعارض مع قطعيات الظواهر الطبيعية، أما علىٰ العكس من ذلك، فإن الإسلام متكامل في ذاته معصوم من الخطأ، لكن العِلموية علىٰ ما تحويه من أخطاء وتناقضات تتبنىٰ عددًا من النظريات الظنية التي تزعم قطعيتها؛ لا لشيء إلا لأنها لا بديل لها بزعمهم، وفي حقيقة الأمر أن البديل قد يكون موجودًا، بل وقد يكون ثابتًا وقطعيًّا، إلا أنه قد يكون من مصدر معرفي آخر لا تعترف به العِلموية من حيث الأصل، مثل الخبر عن الوحي، وبناءً علىٰ ذلك فإن عددًا من النظريات القطعية المزعومة قد تتعارض مع الإسلام العظيم لأنها بزعمهم قطعية، وما هي كذلك.

ثم إن تبني نظريةٍ ما ثم زعم أنها قطعية؛ لا لشيء إلا لأنها لا بديل لها من مصادر المعرفة التي تتبناها العِلموية، هو خطأ فجٌّ في ذاته، فعدم العلم ليس علمًا بالعدم، ولكن الأمر ليس بمستغرب؛ فالعِلموية برُمَّتها غارقة في وحل من المغالطات والأخطاء والتناقضات المنهجية بشكل فج.

الالتزام بآثار الصحابة أصل للعلم

حريٌّ بنا الاتفاق علىٰ تقريرين أساسيين قبل دراسة كتب المخالفين من الإسلاميين، وهما تقريران يدور حولهما مربط الانتقاد، وكلاهما مرتبط بأصول ومصادر المعرفة في الإسلام، فمن لزمهما قد سار علىٰ النهج الصحيح، ومن ضرب بهما عرض الحائط فهو من أهل الرأي والأهواء وليس من أهل العلم في شيء، فالتقرير الأول خاص بآثار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، والثاني خاص بآثار ومصنفات علماء المسلمين.

إنَّ الله تعالىٰ أكمل الدين وأتم النعمة، وقد بلغ الرسول ﷺ الرسالة وأدىٰ الأمانة وأقام الحجة وأوضح المحجة، وإنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- هم حواريُّو رسولنا الكريم وورثته في العلم والإيمان، وهم حفظة دين الله تعالىٰ في عباده، وقد أقاموا الدين علمًا وعملًا وبلَّغوه لفظًا ومعنىٰ.

وبالتالي، فإنه لَمن أعظم الخطايا أن يظن المرء الذي لم يكن شيئًا إلا بعد أربعة عشر قرنًا من البعثة أن رسولنا الكريم وصحابته لم يقيموا الدين قولًا وعملًا ولم يبلغوه قولًا ومعنىٰ إلىٰ سائر أمته، فمن الجهل المحض أن يأتي من بعد ذلك مَن يقرأ القرآن الكريم علىٰ صورة مختلفة عما بلَّغها لنا رسولنا الكريم وصحابته رضوان الله عليهم، وهذا من إساءة الظن، بل وهو من التكذيب لصحيح النقل من القرآن والسنة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم: ١- ٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٨- ٤٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢- ٥٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

والدين أساسه الاعتقاد، ولا شيء أهم من عقيدة المسلم، فالعقيدة عليها النجاة في الدنيا والآخرة، وما أرسل الله من رسول إلا لتصحيح عقائد الناس، ولتبليغهم العقيدة الصحيحة السوية، وقد نص القرآن الكريم علىٰ إتمام هذا التبليغ قبل وفاة رسولنا الكريم ﷺ، وقد شهد رسول الله ﷺ أنه بلغ الرسالة كاملة فقال: «**قدْ تركتُكم علىٰ البيضاءِ ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها بعدي إلَّا هالِكٌ، ومَنْ يَعِشْ منكم فسيرَىٰ اختلافًا كثيرًا، فعلَيْكُم بما عرَفْتُم مِنْ سُنَّتِي، وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عَضُّوا عليها بالنواجِذِ، وعليكم بالطاعَةِ وإِنْ**

عبدًا حبشِيًّا، فإِنَّما المؤمِنُ كالجمَلِ الأَنِفِ، حيثُمَا انقيدَ انقادَ»(١).

وعليه، فإن **التقرير الأول**: أنه لا صحيح من العلم إلا ما وافق ما بلَغنا من صحيح النقل من حديث رسولنا الكريم ﷺ وصحابته الكرام(٢).

فالصحابة هم الذين أثنىٰ عليهم ربنا في كتابه العزيز فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهم الذين رضِيَ اللهُ عنهم فقال: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، وهم الذين أمرهم رسولنا الكريم بتبليغ رسالته مِن بعده، فعن أبي بكرة نُفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال في خطبة الوداع: «**ألا ليبلغ الشاهدُ منكم الغائبَ...**»(٣).

ولم يكن ثناء الرسول ﷺ خاصًّا بصحابته، فبالرغم من أفضليتهم، إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شهد لتابعي الصحابة أيضًا، وشهد لتابعي التابعين، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة؟(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٨): إسناده حسن. وصححه الشوكاني في «إرشاد الفحول» (٢/ ١٣١)، والألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٢) راجع مؤلفات حجية السنة وإجماع أهل العلم الواردة في آخر الكتاب.

(٣) رواه البخاري (١٠٥).

(٤) رواه البخاري (٣٦٥٠) بلفظ: «**خير أمتي قرني...**»، ومسلم (٢٥٣٥) بلفظ: «**إن خيركم قرني...**».

وعليه، فلا سبيل لفهم صحيح الدين إلا بصحيح النقل عن رسولنا الكريم ﷺ وعن صحابته الكرام، وإن أفضل الناس بعد الصحابة هم التابعون، ثم تابعو التابعين، وذلك من واقع الحديث الشريف الوارد عنه ﷺ الذي أقر لهم بأنهم خير القرون.

الالتزام بمصنفات العلماء المتقدمين

لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وخير العلماء الصحابة ثم التابعون؛ لما تقدَّم من صحيح النقل من القرآن والسنة النبوية الشريفة، وعليه فإنه لا سبيل للفهم الصحيح للقرآن الكريم وللعقيدة الإسلامية بأصولها وفروعها إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، وقد أهتم بذلك كافة العلماء المتقدمين، فقد أفنىٰ مئات العلماء أعمارهم في تتبع آثار الصحابة والتابعين وتدوينها في آلاف المصنفات والكتب، وأفنىٰ المئاتُ أعمارهم في استنباط الأحكام لكل مسائل الواقع، بل حتىٰ إنهم قد اهتموا ببعض المسائل التخيلية التي لا عَلاقة لها بواقع عصرهم تحسبًا لأي حاجة مستقبلية غريبة عنهم من القرون اللاحقة.

وقد صنَّف العلماء في مسائل الاعتقاد التي عليها أصل الدين علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا آلاف المصنَّفات وملايين الأوراق والصفحات، وذلك لا لشيء إلا لتبليغ العلم الذي ورثوه قرنًا عن قرن، والذي قد حذرهم الله عَزَّوَجَلَّ من كتمانه، فقد قال النبي ﷺ: «**مَن سُئل عن عِلم فكتمَه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**»، وعليه فلم يكن للمتقدمين من العلماء بد من تبليغ علمهم الذي ورثوه.

وعلماء الشرع الحقيقيون هم الملتزمون بالكتاب والسنة، لا أهل الرأي والأهواء؛ لأن الرأي ليس بعلم إن لم يكن مقترنًا بالكتاب والسنة وآثار الصحابة الكرام، وقد خص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ثناءه على العلماء المستنبطين، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء: ٨٣] .

أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد أمر في الآية الكريمة بالرجوع إلى العلماء عند نزول النوازل وطلب حكمها، ويظهر جليًّا من ذلك أن الرجوع إلى أهل الرأي رد لما أمر به الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله قد خص الرجوع إلى العلماء المستنبطين من القرآن والسنة، لا أهل الآراء والأهواء.

وقد ذم نبينا الكريم القولَ بالرأي وحذر منه فقال: «**مَن قالَ في القرآنِ برأيِهِ فأصابَ فقَد أخطأَ**»، أي أنه قد أخطأ في منهج الاستدلال، فلو أصاب الحق فقد أخطأ المنهج.

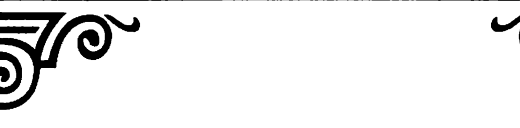
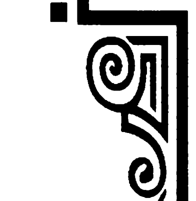
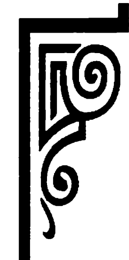
وفي فضل العلماء عددٌ ضخم من النصوص التي لا سبيل لجمعها في صفحات معدودة، فقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في فضلهم على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٨].

وعليه، فإن **التقرير الثاني**: أن العلماء المستنبطين -لا أهل الرأي- هم ورثة الأنبياء، وقد صنَّفوا آلاف المصنَّفات علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا؛ لذلك فإنه من الجهل المحض تخطِّي مصنفات العلماء المتقدمين عند التعامل مع نوازل العصر؛ لأنهم **أولًا**: أعلم بالقرآن والسنة واللغة وآثار الصحابة والتابعين منا، **وثانيًا**: لأننا مأمورون بنص القرآن والسنة باتباعهم وأخذ العلم عنهم قرنًا عن قرن(١).



---

(١) للاستزادة في هذا الباب راجع: «الموسوعة العقدية للدرر السنية»، الكتاب الأول، مقدمات في علم العقيدة والتوحيد، الباب الثالث: خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد ونتائج الالتزام به.

نقد كتاب «لا شيء بالصدفة»

لأحمد خيري العمري







اختيار الكتاب

يقع كتاب أحمد خيري العمري «لا شيء بالصدفة» الصادر عن إحدىٰ الدور المصرية فيما يقارب خمسمئة صفحة، وأزعم بشكل عام وجود ضرر جم من مثل هذا الطرح علىٰ الشباب المسلم؛ كون الكتاب يثير من التساؤلات والشبهات أكثر مما يجيب.

وأزعم أن ضرر مثل هذا الطرح يكمن في حقيقة أن أولىٰ خطوات الإلحاد عن الحق هي محاولة التوفيق بين الحق والباطل لهوىٰ النفس، وقد يكون الهوىٰ متمثلًا في أفكار ومعتقدات يظنها الطارح حقيقةً أوَّليَّة يبدأ منها إلىٰ الدين ليرجع إليها مرةً أخرىٰ، فيبدأ الطرح من فكرة بعينها إلىٰ الدين، وليس من الدين إلىٰ الفكرة.

لم أقصد استهداف أحمد خيري العمري لشخصه أبدًا، وإنما وقع في يدي كتابه الجديد «لا شيء بالصدفة» بمحض الصدفة! حيث نُشر الكتاب إلكترونيًّا وبشكل مجاني علىٰ الإنترنت، وبدا لي أن سبب ذلك هو رغبة الكاتب في نشر أطروحته الجديدة علىٰ أوسع نطاق ممكن في الأوساط الإسلامية والشبابية؛ ولهذا فقد اطلعت علىٰ الكتاب ومحتواه، فوجدته متشربًا بالأفكار العلموية وفلسفات حركة الإلحاد الجديد، وذلك بالرغم من الغلاف الدعوي للأطروحات فيه.

يذكِّرني العمري في كثير من طرحه بعدنان إبراهيم، فلكليهما نفس المنهج تقريبًا، ولكليهما تهافتات وتناقضات منهجية عجيبة، ويجمعهما رفض وإنكار

الثوابت الإسلامية التي اتفق عليها المسلمون علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا، ويجمعهما -أيضًا- ظاهرة تحوُّل كثير من متابعيهم إلىٰ الإلحاد!

عدنان إبراهيم وشريف جابر

أتذكَّر في هذا الصدد أن كان لي صلة بشاب ملحد (وهو شريف جابر) منذ سنوات طويلة، وقد اعتدت التحاور والتجادل معه حينها؛ لأنه كان يعمل علىٰ نشر الشبهات عبر مقاطع مرئية علىٰ اليوتيوب في ذلك الوقت، وكان حينها لا يحصل إلا علىٰ العشرات من المشاهدات، أما في وقت كتابة هذه الأسطر نعلم أنه بات يحصل علىٰ الملايين.

أما الشاهد في الأمر أن هذا الملحد كان قد تراجع وأسلم مرةً أخرىٰ منذ سنوات بعد أن شاهد عدة مقاطع لعدنان إبراهيم، وقد قال لي حينها: إنه أيقن أن لُبَّ مشكلته ليست مع الإسلام ذاته، وإنما مع الجمود الفكري أمام العلم التجريبي الحديث، وقد وجد المرونة تلك في أطروحات عدنان إبراهيم!

لكن المسكين لم يلبث كثيرًا حتىٰ اكتشف التناقضات المنهجية في طرح عدنان إبراهيم، فتقهقر إلىٰ الإلحاد مرة أخرىٰ وأصبح بلاءً علىٰ المسلمين.

رحلة شريف جابر مع الإسلام ومع عدنان إبراهيم تمثل الشريحة الواسعة من الشباب الذي يبدأ من العلم الحديث إلىٰ الدين، لا العكس، فيجدون مبتغاهم في بعض المنتمين للفكر الإسلامي كالعمري، ثم يظهر للكثير منهم بعد ذلك التناقضات المنهجية الواضحة بين ما يقدمه هؤلاء من أطروحات وبين

حقيقة الدين، وهنا يكمن خطر كبير، وهي العلة الهامة الأساسية التي تدفعنا إلىٰ نقاش أطروحاتهم.

وبناءً علىٰ ذلك، فقد قررتُ عند مطالعتي الكتاب أن يكون أحمد خيري العمري أول مثال يمكن تسليط الضوء عليه من سلسلة مؤلفات لاحقة إن قدَّر لنا الله البقاء ونشر عدد آخر منها.

ملخص القول في الكتاب

أستطيع بدايةً أن أزعم بشكل عام أن جرأة الكاتب علىٰ تفسير آيات القرآن الكريم وتأويلها تأويلات فاسدة تغلب حد ظن الخير فيه، كما أنه يتجرأ بشكل مشابه علىٰ العلوم التجريبية التي لم يُحِط بها علمًا، ويجمعه مع الملاحدة الجدد معظم المواقف الفلسفية والفكرية تقريبًا، وهي دائمًا تلك المواقف الشعبوية لعامة الملاحدة الجدد، وقد فصَّلت في ذلك أثناء البحث.

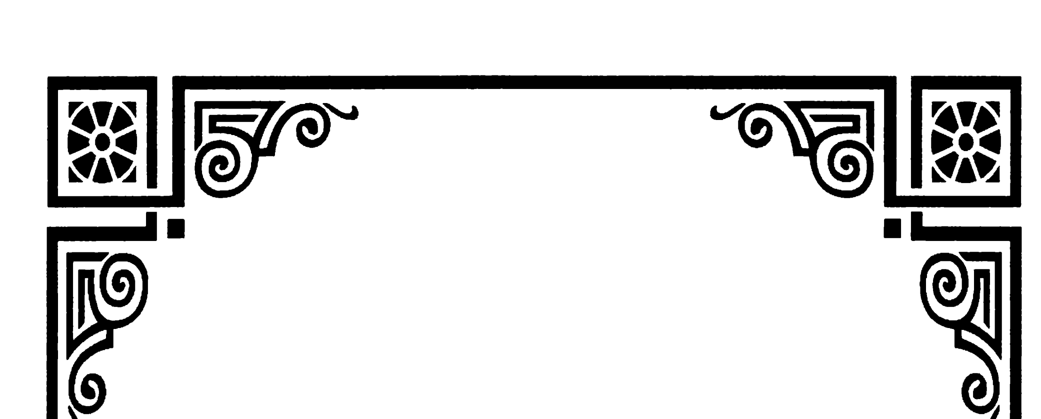
أيضًا، يُحسن العمري الظن بالملاحدة الجدد كثيرًا، ويستشهد بهم في معظم أطروحاته، في حين أنه يعرض عن الأحاديث الثابتة عن رسول الله وعن الآثار الثابتة لصحابته الكرام، وكأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ترك لنا القرآن الكريم ولم يبيِّن منه شيئًا، وكأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ترك لكل عامي من عوام المسلمين مهمة تفسيره بنفسه، فلا نجد الكاتب في موضع واحد من كتابه يستشهد بحديث للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بأثر صحابي كريم، أو بتابعي، أو حتىٰ بقول عالم من علماء المسلمين.

ومن الملاحظ أيضًا: أن مصادر المعلومات في الكتاب دائمًا تكون في ذاتها

متهافتة أصلًا وموضوعًا، فنجد أن معظم مصادره العلمية ما هي إلا (مواقع إخبارية)، أو (ويكيبيديا) وغير ذلك، بل وحتىٰ نجده يستخدم (مجلة عربية معروفة بالإلحاد) كمصدر للمعلومات عن فلاسفة الإسلام!

ثم بعد اطلاعي علىٰ كتابه «لا شيء بالصدفة» قمت بالاطلاع علىٰ كتبه الأخرىٰ المنتشرة مثل كتاب «ليطمئن عقلي» وغيره، وقد وجدت أن أخطاءه المنهجية والعقدية حاضرة في كافة كتبه باختلاف موضوعاتها، فآثرت الاقتصار علىٰ دراسة كتابه «لا شيء بالصدفة» دونًا عن غيره؛ كونه أحدثَ كتبه المنشورة، لكن طرْحنا هنا في نقد الأخطاء المنهجية والعلمية في كتاب «لا شيء بالصدفة» حاضر في كتبه الأخرىٰ أيضًا.



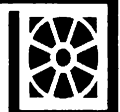


الفصل الأول

مفاتيح متهافتة







أسباب واهية لتأليف كتابه

يبدأ فصله الأول «مفاهيم مفتاحية» بتبرير حديثه وخوضه ودفاعه عن نظرية التطوُّر بعدَّة أسباب، فيبدأ في (صفحة ١٩) فيقول:

«**السبب الأول**: يمكن اعتباره سببًا عاجلًا، من النوازل، وهو ما دفع كثيرين (وأنا منهم) إلىٰ الدخول في الأمر، وهذا السبب هو استخدام النظرية من قِبل دعاة الإلحاد الجديد للترويج للإلحاد، اعتمادًا علىٰ مكانتها العلمية والقبول الواسع الذي تحوزه من قبل المؤسسات العلمية.

أي إن الأمر هنا يعني أن دعاة الإلحاد الجديد يستخدمون سطوة العلم الحديث ومكانته لتكريس الإلحاد في نفوس المتلقِّين.

لكن هذا الاستخدام في حقيقته يدخل النظرية في أمر ليس ضمن نطاق بحثها ومجالها، وهو بالذات ما يجعل الاستخدام يتضمن خديعة وتدليسًا كبيرًا» انتهىٰ.

قلت: يقول الكاتب بأن نظرية التطوُّر أضحت مهمة كونها تُستَخدم من قِبل المؤسسات العلمية التجريبية لتكريس الإلحاد في نفوس المتلقين، وذلك رغم أن هذا الاستخدام لا يدخل في إطار النظرية ولا نطاق بحثها حسب قوله، وقوله هنا متهافت جدًّا من وجهين:

أولًا: أننا إنما نعمل علىٰ نقد نظرية التطوُّر الدارويني لا لشيء إلا لأنها تعمل علىٰ البحث في نطاق الإيمان بالخالق أصلًا؛ وذلك كونها تتناقض بشكل صريح قطعي الدلالة -حسب ظن الملاحدة- مع النصوص الدينية قطعية الدلالة

قطعية الثبوت في الإسلام؛ ولذلك فحتمًا نظرية التطوُّر الداروينية تعمل على النطاق الذي ينكره الكاتب هنا، ولا يخفى ذلك على عاقل، وسنفصِّل في ذلك.

ولكن حريٌّ بنا إلقاء الضوء على نظرية التطوُّر ذاتها ومذاهبها، ومواقف العلماء من تفسيراتها، قبل الخوض في علاقة نظرية التطوُّر بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تقوم فكرة نظرية التطوُّر الدارويني حسب مؤسسها «تشارلز داروين»(١) على تطوُّر أنواع الكائنات الحية المختلفة من بعضها البعض عبر أصل واحد مشترك بسيط في بداية الوجود الأحيائي على كوكب الأرض منذ تقريبًا أربعة مليار سنة، وتقوم على فكرة الطفرات العشوائية والانتخاب الطبيعي، حيث تتناسل وتتكاثر الكائنات الأصلح للبقاء، وأن كافة الكائنات الحية بدأت عن انبثاق من الجمادات، فتحوَّل جماد ما قديمًا إلى كائن حي أوليٍّ بسيط عبر ما يُعرف بمصطلح «Abiogenesis»(٢)، وذلك ندعوه بالتطوُّر الكبروي أو الداروينية «Darwinism».

---

(١) تشارلز روبرت داروين (بالإنجليزية: Charles Robert Darwin) عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩ في شروزبري لعائلة إنجليزية علمية، وتوفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢ . والده هو الدكتور روبرت وارنج داروين، وكان جده (إراسموس داروين) عالمًا ومؤلِّفًا بدوره.

(2) (2019). abiogenesis. In Hine, R. (Ed.), A Dictionary of Biology. : Oxford University Press. Retrieved 23 Apr. 2021.

أما التطوُّر الجزئي أو ما يُدعىٰ بالصغروي «Micro-Evolution» فهو «التغيُّر التطوُّري داخل الأنواع»(١) وليس من نوع إلىٰ آخر أو فصيل إلىٰ آخر، وهو نطاق مختلف لا يدخل أصلًا في مبحث بدء الخلق.

أما في صدد المذاهب الخاصة بتفسيرات النظرية يقول دكتور سامي عامري: إنها انقسمت إلىٰ ثلاثة مذاهب كبرىٰ:

فالأول: يقرر «أن أنواع الكائنات الحية قد نشأت دون سلف مرةً واحدة، علىٰ صورة كاملة ومعقدة، في أزمنة متوالية؛ فجنس كل مجموعة يظهر في زمان ما كاملًا»(٢).

أما المذهب الثاني: فيرىٰ «أن الوجود الحيَّ كله قد بدأ بسيطًا بصورةٍ تسمح العشوائية بإنشائه -ولو علىٰ زمن طويل-، ثم ظهر بعد ذلك عالم الأحياء كله بسبب التطوُّر العشوائي غير الموجَّه علىٰ مدىٰ بلايين السنين»(٣) وأن جميع الكائنات الحية لها أصل واحد مشترك، وأن التصميم الذكي والنَّظْم في الكائنات أمر مخادع غير حقيقي.

---

(1) Allaby, M. micro-evolution. In A Dictionary of Ecology. : Oxford University Press. Retrieved 23 Apr. 2021.

(٢) براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، د. سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، لندن – المملكة المتحدة، (ص٤٨٩).

(٣) المصدر السابق.

أما المذهب الثالث: «فيقرر أن التفسير العشوائي لأصل الحياة ولتطوُّرها متهافت بمقاييس العلم نفسه، وأن كل محاولة لتأكيد هذا النهج لا بد أن تنتهي إلىٰ مخالفة بدهيَّات المعرفة العلمية والرياضية»(١).

أما التطوُّر الصغروي فيقول دكتور سامي عامري عنه: إنه «نوع من التطوُّر يتَّفق الجميع علىٰ صحته، فإنه قد تظهر من الكلاب القصيرة كلاب أكبر، وقد تفقِدُ بعض الطيور قدرتها علىٰ الطيران... والكائن الحيُّ -هنا- هو نفسه لم يتحول إلىٰ نوع ثانٍ مفارق جينيًّا للنوع الأول»(٢).

وفي هذا النطاق وجه هام في استدلال الدراونة علىٰ نظريتهم، حيث إنَّ ما يستدل به التطوريون لإثبات التطوُّر علىٰ الأغلب يقع ضمن نطاق التطوُّر الصغروي، وهذا ما لا إشكال فيه؛ «فاكتساب الكائن خصيصة ما دون تغيُّر رصيده الجيني (= دون إضافة معلومات جديدة في حوضه الجيني) ليس من التطوُّر الذي ينشئ التعقيد الأحيائي عن أصل مشترك في شيء»(٣)؛ ولذلك يحدث خلط كبير بين العامة في براهين التطوُّر، ويعتمد معظم الدراونة علىٰ هذا الخلط للبرهنة علىٰ النموذج العشوائي من التطوُّر.

---

(١) المصدر السابق (ص٤٩٠).

(٢) المصدر السابق (ص٤٩١).

(٣) المصدر السابق (ص٤٩٢).

وتأكيدًا على هذا المعنى يقول دكتور سامي عامري: إن «القارئ في الأدبيات التطوُّرية لا بد أن يحذر من خلط معاني التطوُّر عند عرض براهينها؛ فمن التطوُّر ما أجمع عليه العلماء، ومنه ما هو محل جدل، ومنه ما يُشكك في النَّظْم، ومنه ما لا يمسه بشيء»(١)

أما عن ادعاء الكاتب هنا أن التطوُّر لا يبحث في وجود الله فهو قول متهافت؛ وذلك لأن التطوُّر الدارويني يدخل في مبحث بدء الخلق الذي بدوره يقترن بمبحث وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالداروينية في حقيقتها مبحث عقدي يناصر المذهب الإلحادي والرُّبُوبي إلى حد كبير، وكلاهما إلحاد عن الحق الإسلامي الثابت.

أي أن النظرية -إن صحَّت- فإنها تتناقض مع الروايات الدينية للشرائع السماوية، وبالتالي فإن إثباتها يعني ضرورةً نفي وجود إله تلك الشرائع؛ كون ذلك يقطع بخطأ الكتب المقدسة لتلك الشرائع، أي أنها ليست معصومة كما تزعم؛ ولذلك فإن الكاتب مُحقٌّ في أنها نظرية لا تدخل في وجود الخالق ذاته، لكنها مع ذلك معنية بوجود الإله الواحد الحق إله الإسلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن تلك الحقيقة ندرك أن نظرية التطوُّر تتطابق مع المذهب الربوبي الذي يؤمن بوجود إله حكيم ذي صفات ذاتية، لكن ولأنه مذهب يرفض الأديان كلها، ويقوم على فكرة إهمال وترك صانع الكون لمخلوقاته، فإنه يمثِّل عقيدة

(١) المصدر السابق (ص٤٩٣).

تشارلز داروين الحقيقية في الكون، وسنفصِّل في ذلك لاحقًا.

ثانيًا: يظن الكاتب هنا أن كون نظرية التطوُّر نازلة عصرية، أن ذلك يخوله الدخول في هذا المبحث، وكأنه قد درس العلم الشرعي والعلم التجريبي بالقدر الكافي للتدخل في هذا النطاق، لكن الكاتب مع ذلك طبيب أسنان، فلا هو درس العلم الشرعي أكاديميًّا، ولا درس فلسفة العلوم التجريبية والبحث العلمي أكاديميًّا، ولا درس الكيمياء الحيوية مثلًا أو غيرها من التخصصات المشاركة في جدال التطوُّر بين الملاحدة والألوهيين.

وأزعم في هذا الصدد أن دراسة فلسفة العلم وفلسفة الدين أمر لا بد منه للجدال في الداروينية؛ وذلك لأنها مبحث فلسفي مُجَرَّد بقدر كبير، بل هي أكثر تجردًا من المنهج التجريبي عن علم الكونيات مثلًا، وهو ما يُدعىٰ بـ«الكوسمولوجيا» «Cosmology»؛ وذلك لأن علم الكونيات يستند أصالة إلىٰ عدد من القواعد الفيزيائية التي يتم اختبارها والتحقق من صحتها علىٰ النطاق الصغير، وبذلك يتم العمل علىٰ صناعة نموذج كوني كبير عبر الفلسفة والبحث العقلي بناءً علىٰ الجزئيات المُجَرَّبة، فالكوسمولوجيا تُعَرَّف بأنها «دراسة أصل الكون وبنيته»(١)، أي أنها نموذج تفسيري، أما علىٰ النقيض من ذلك، فإن مباحث التطوُّر الدارويني لا تستند أصالةً إلىٰ نفس الأرض الصلبة.

---

(1) Blackburn, S. (2016). cosmology. In The Oxford Dictionary of Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 23 Apr. 2021.

وقد كان جواب الكاتب علىٰ كونه ليس متخصصًا في العلوم الشرعية للخوض في أمور العقيدة بأن غيره ليس متخصصًا أيضًا، ومثَّل ذلك بسيد قطب وعباس محمود العقَّاد، وهو هنا يخطئ مرةً أخرىٰ؛ لأن سيد قطب وعباس محمود العقَّاد ليسا ممن يؤخذ عنهم العلم الشرعي والمسائل العقدية أصلًا، وحتىٰ مع افتراض ذلك؛ فإن جوابه هنا متهافت من وجه آخر، وهو أن تصنيف شخص ما لمؤلفات في أمور العقيدة دون دراسة شرعية لا ينفي أصل وجوب الدراسة المتخصصة (له ولغيره) لتلك العلوم، فهذا استدلال غريب.

ومن سخرية الأمر أن المثالين الذين ذكرهما الكاتب، وهما سيد قطب وعباس محمود العقَّاد لديهما أخطاء عقدية كان قد رد عليها عدد من العلماء الكرام، ومن ذلك ما يظهر في كتاب «الله» لعباس محمود العقاد الذي يزعم فيه أن عقائد البشر تطوَّرت حتىٰ عرف الإله الواحد، وأن الإنسان ترقَّىٰ في العقائد كما ترقىٰ في العلوم والصناعات، وهذا القول فيه جرم كبير علىٰ نصوص الكتاب والسنة التي تدلنا بشكل قاطع علىٰ معرفة الإنسان بربه الواحد الأحد منذ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم قد ضل نسله بعد ذلك واتخذوا له شركاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع ذلك يعتقد العمري في حواره مع إحدىٰ المجلات اللبنانية أن العقاد قد قدم للمكتبة الإسلامية ما لم يقدمه المتخصصون في العلوم الشرعية!(١).

---

(١) رابط محفوظ للحوار:

https://web.archive.org/web/20160617032900/http://www.quran4nahda.com/?p=1368

ومن المثير للاهتمام أن قال العمري في لقاء آخر مع نفس المجلة: «التجديد كما أفهمه هو: التنقيب في النص الديني لتشخيص ما يعانيه العصر من أمراض، وبالتالي بما يمكِن من علاج لهذه الأمراض.. وهو يَفرق كثيرًا وجذريًّا عما يقدمه أدعياء التجديد الذين يبحثون في جزئيات هنا وهناك لغرض تمرير الفكر التغريبي»(١) انتهىٰ.

قلت: وذلك في حين أن المنهج الذي انتقده العمري هنا هو ما نراه في جل كتاباته أصلًا، فالمتخصصون المعاصرون في كثير من البرامج والمؤلفات العلمية -أمثال دكتور سامي عامري، والشيخ عبد الله العجيري، ودكتور سلطان العميري، وغيرهم- يقومون بمثل تلك المهمة فعلًا، فتراهم يفتشون ويبحثون في التراث لما يعينهم علىٰ التعامل مع النوازل العقدية في عصرنا، وهم مع ذلك لم يتنازلوا -حسب علمي- عن أيِّ ثابت من الثوابت العقدية في دينهم، ولم يقدموا عقولهم الشخصية علىٰ صريح النصوص كما نرىٰ في كتابه، ولم يخرقوا إجماعًا للأمة ولا ضربوا بقول جمهور العلماء عرض الحائط.

وبالرغم من اعتراف كثير من التيار السلفي المعاصر بوجود قصور سابق في الاهتمام بكثير من الدرر الكامنة في كتب الأئمة الأوائل العقدية أمثال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلا أنهم أدركوا أن مواجهة النوازل العقدية المعاصرة لا تصح إلا بفهم السلف الصالح للعقيدة.

---

(١) رابط محفوظ للحوار:

https://web.archive.org/web/20160325155250/http://www.quran4nahda.com/?p=2154

مفهومه للفكر الإسلامي ورفضه للدراسة الشرعية

ويستمر العمري في لقائه مع المجلة فيقوم بتعريف التجديد **فيقول:** «التجديد في الفقه مثلًا أمر لا يمكن أن يحدث دون دراسة شرعية متخصصة، ودون أن يكون امتدادًا لعملية تأصيل واضحة، وشروطه وضوابطه بهذا أعقد من التجديد في مجال الفكر الإسلامي مثلًا، والتفريق بين الأمرين مهم جدًّا، وإن كان يخفىٰ علىٰ الكثيرين للأسف مما يُحدث خلطًا وفوضىٰ تزيد الأمور صعوبة للجميع.. التجديد في الفكر الإسلامي ضوابطه وشروطه أقل تعقيدًا، فهو يتطلب الثقافة العامة والرؤية الشمولية أكثر مما يتطلب الدراسة المتخصصة، ولا يعني هذا أنه أسهل منالًا من التجديد في الفقه أو علوم الحديث مثلًا، لكن شروطه مختلفة...» انتهىٰ.

قلت: إذًا؛ فهو يرىٰ أن التجديد في «الفكر الإسلامي» لا يحتاج أصلًا إلىٰ الدراسة المتخصصة، لكنه لم يقم مع ذلك بتعريف مصطلح «الفكر الإسلامي»، فهو مصطلح مطاط جدًّا، وهو يجعل من أمر الفتوىٰ بغير علم في عدد كبير من الأمور أمرًا هينًا تحت مظلته، فالإسلام ليس بفكر يُتناقش فيه.

فمبحث بدء الخلق الذي يناقشه الكاتب هنا (كونه نازلة عصرية حسب تعبيره) هو من مباحث العقيدة التي لا تُدرك بالعقل بل بالوحي، والعقيدة علم شرعي يُطلَب كغيره من العلوم، كالفقه والحديث والتفسير وغيرها، وإن للعقيدة في الحقيقة أسماء متعددة يناقشها الكاتب مثل: الإيمان، الدين، الفقه الأكبر، وغير ذلك، أي أنه يناقش مسميات عقدية بحجة أن «الفكر الإسلامي» لا يحتاج إلىٰ دراسة متخصصة!

وعن هذا المصطلح المطاط يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلمة (فكر إسلامي) من الألفاظ التي يحذر عنها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر. أما (مفكر إسلامي) فلا أعلم فيه بأسًا؛ لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكرًا»(١).

ولا خلاف بين العلماء أن علوم العقيدة هي أهم وأشرف العلوم، فهي الأساس الذي يقوم عليه كافة العلوم الأخرىٰ، والتصنيف فيه ليس بالأمر الهيِّن، وقد صنَّف فيه جُلُّ الأئمة المتقدمين، ومن هنا نلاحظ التهافت الكبير في أصول الكاتب، وتجاهله التام لأساسيات العلوم الشرعية في كافة أطروحاته.

ويستكمل الكاتب مبررات تصنيفه للكتاب في (صفحة ١٩) **فيقول:** «**السبب الثاني**: إن بعض الإخوة أخذوا بمحاربة النظرية بناء علىٰ السبب الأول، بدلًا من العمل علىٰ إزالة التوهم الذي يستخدمه دعاة الإلحاد، وهذا الأمر جعل جهودهم (رغم أني لا أشك في حسن نياتها) تصب علىٰ المدىٰ البعيد في نفس جهود دعاة الإلحاد في ربط نظرية علمية لها قبول عالمي واسع بالإلحاد» انتهىٰ.

قلت: وهنا سببه فاسد من وجهين:

أولًا: أنه قد بنىٰ السبب الثاني علىٰ افتراض أن السبب الأول الذي ذكره صحيحًا، أعني أنه قد قال علىٰ لسان نقَّاد نظرية التطوُّر الدارويني من الإسلاميين ما لم يقولوه، وبناءً علىٰ ذلك صاغ سببه الثاني، وهذا ما بينَّاه في الرد

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين» (١٠/ ٨٢٨).

علىٰ السبب الأول أن انتقاد الداروينية من قِبل الإسلاميين لم يكن إلا لكون النظرية تبحث في نطاق بدء الخلق، وهو مبحث عقدي بحت.

ثانيًا: أنه يفترض صحة أي نظرية تحظىٰ بقبول واسع من المجتمع الأكاديمي، وهو رأي كبيرُ الفساد، لكنه يمثِّل أصلًا من أصول منهجه هو وغيره من دعاة التجديد، ومن المعلوم أن تكاتف المجتمع الأكاديمي علىٰ فكرةٍ ما لا يعني ضرورةً بأن تلك الفكرة أضحت حقيقة، ناهيك عن أن تكون دائمة، بل وحتىٰ القوانين الفيزيائية الرياضية ليست قطعية حقيقية دائمًا.

وفي الفيزياء يتمثل ما أزعمه في قوانين نيوتن الثلاثة، فقد كانت تعمل وما زالت تعمل إلىٰ يومنا هذا، ولكنها مع ذلك ليست قطعية، بل هي قوانين تقريبية لا تعمل بشكل قطعي ويقيني في كافة الكون وعلىٰ كافة المقاييس، ولكنها كانت علىٰ ظن المجتمع الأكاديمي قطعية منذ طرحها نيوتن في القرن السابع عشر حتىٰ القرن العشرين عندما انقلب كل شيء نعرفه في الفيزياء.

لاحظ هنا أننا نتحدث عن القوانين التجريبية في الفيزياء، وهي علىٰ النقيض من المباحث التاريخية المطاطة التي لا نستطيع تيقن الصحيح منها من الباطل إلا بوحي.

لذلك فإن قبول المجتمع العلمي لنظرية ما، أو حتىٰ لقانون علمي ما لا يعني ضرورةً أن هذه النظرية أو هذا القانون صحيح قطعًا وللأبد، وإنما يتغير الأمر من حين إلىٰ آخر، وأزيد في ذلك فأزعم بأن العلماء التجريبيين ليسوا دائمًا حقًّا (تجريبيين)، فلكل منهم أطروحات غير تجريبية وإن زعموا غير ذلك،

فمثلًا إسحاق نيوتن «في فلسفته الطبيعية، كان يدعي أنه تجريبي صارم، لكنه كان يؤيد أحيانًا الأطروحات الميتافيزيقية التي هي بعيدة كل البُعد عن قابلية التجربة»(١).

إذن، فالهزات والزلازل في الأوساط الأكاديمية ليست مستغربة أبدًا، بل وتحدث قطعًا من وقت إلىٰ آخر، فقد يُطرح في أي وقت ما يهدم عددًا جمًّا من النظريات التي اعْتُبرت لقرون «علمًا حقيقيًّا»، ومن أبرز الأمثلة علىٰ ذلك كان بداية القرن العشرين، فقال في هذا الصدد الفيلسوف البريطاني (أندرو بايل) في «موسوعة الفلسفة البريطانية»: إنه قد «تعرض النظام القديم للفلسفة الطبيعية لضربة شبه قاتلة من ثورتين علميتين متزامنتين في السنوات الأولىٰ من القرن العشرين»(٢).

فراسة الدماغ كمثال على العلوم الزائفة في المجتمع الأكاديمي الغربي

ومن أسخف الأمثلة علىٰ ذلك علم أسسه الطبيب الألماني فرانز جوزيف جال في القرن التاسع عشر، واسمه «علم فراسة الدماغ» «Phrenology»، وقد كان يعتمد علىٰ خصائص وشكل جمجمة الإنسان لمعرفة خواصه، وقد كان

---

(1) Pyle, A. (2006). science and philosophy. In The Continuum Encyclopedia of British Philosophy. : Continuum. Retrieved 23 Apr. 2021.

(٢) المصدر السابق.

ذلك حقًّا مقبولًا في الأوساط العلمية، ثم اتضح أنه علم زائف في نهاية المطاف(١).

فهل لو كان العمري موجودًا في ذلك الوقت، وبافتراض أن كان لدينا نص قرآني قاطع يتعارض مع هذا العلم، هل كان ليصنِّف كتابًا عن فكرته التي تجعل من علم فراسة الدماغ غير متعارض مع النصوص القرآنية؟ أو أن الإسلام يدعم أصلًا تلك النظرية؟! لو حدث ذلك لكان مُصَنَّفُه هذا سقطةً تُحسب عليه بعدما اتضح حقيقةً أنه كان عِلمًا زائفًا. وهذا إبطال لمنهجيته التي تقرر القبول المطلق لكل ما هو مقرر في الأوساط الأكاديمية.

نظرية الكون الأزلي الثابت كمثال على الأفكار الزائفة في المجتمع الأكاديمي الغربي

أيضًا، من الأمثلة الهامة في هذا الإطار: أنه وحتىٰ بدايات القرن العشرين كان المجتمع العلمي كافة يعتقد بنموذج الكون الثابت الأزلي «Steady-state Universe» كونه أفضل تفسير (علمي) في هذا الوقت، وهو ينص علىٰ أن الكون كان موجودًا دائمًا في حالة ثابتة، وأنه ليس له بداية، ولن يكون له نهاية،

(١) (2000). phrenology. In Knowles, O., & Moore, G. (Eds.), Oxford Reader's Companion To Conrad.: Oxford University Press. Retrieved 23 Apr. 2021.

(2020). phrenology. In Law, J., & Martin, E. (Eds.), Concise Medical Dictionary. : Oxford University Press. Retrieved 23 Apr. 2021.

وله متوسط كثافة ثابت(١).

ولكن مع بدايات القرن العشرين اكتشف (إدوين هابل)(٢) أن الكون ليس حقًّا بثابت، وأن كافة المجرات (عدا مجرة أندروميدا) تبتعد عنا بتسارع متزايد، وهو ما ساهم في صياغة نظرية الانفجار العظيم، وقد شكَّل ذلك صدمة في المجتمع العلمي، حتىٰ إن آينشتاين رفض الاعتراف بنتائج هابل في أول الأمر، واستمر الوضع كذلك حتىٰ أصبحت نظرية الكون الثابت الأزلي مُهمَلَة وغير جادة في الأوساط العلمية(٣).

بل وحتىٰ قبل نموذج الكون الثابت الأزلي التي كانت تُلَقَّب بـ«نظرية»، كان يعتقد آينشتاين أن الكون في حالة جامدة «Static»؛ ولذلك وأثناء صياغته لمعادلات النسبية العامة قام بإضافة ما سمَّاه بالثابت الكوني «Cosmological Constant»، ولكن هذا النموذج الذي آمن به عملاق كآينشتاين كان متعارضًا مع مشاهدات (إدوين هابل)(٤)، وبذلك فقد اتضح

---

(1) (2009). steady-state theory. In A Dictionary of Physics. : Oxford University Press. Retrieved 24 Apr. 2021.

(٢) إدوين بويل هابل (بالإنجليزية: Edwin Hubble) (٢٠ نوفمبر ١٨٨٩ - ٢٨ سبتمبر ١٩٥٣)، فلكي أمريكي له دور كبير في إثبات أن الكون ليس ثابتًا، وأن المجرات ليست ثابتة فيه، بل كلها تتحرك وتبتعد عنا؛ وقد ساهم هذا كثيرًا في اعتماد نظرية الانفجار العظيم.

(3) steady-state theory. Oxford Reference. Retrieved 24 Apr. 2021.

(4) static universe. In Ridpath, I. (Ed.), A Dictionary of Astronomy. : Oxford University Press. Retrieved 24 Apr. 2021.

فعلًا أن (آينشتاين) كان مخطئًا.

بل وحتىٰ قبل ذلك كله كان يعتقد المجتمع العلمي بالكون اللانهائي الأزلي الأبدي، فبعد أطروحة (كوبرنيكوس)(١) في القرن السادس عشر التي تقول بأن مركز الكون هو الشمس، طُرحت نظرية أخرىٰ من قِبل الرياضي البريطاني (توماس ديجز)(٢) بعد عدة سنوات بأن الكون لانهائي، ثم استمرت الأطروحات المشابهة عن الكون الأزلي حتىٰ آينشتاين، ثم لأول مرة طُرحت نظرية الانفجار العظيم(٣) عام ١٩٢٧م من قِبل عالم الفلك والكاهن الكاثوليكي البلجيكي (جورج لوميتر)(٤).

---

(١) نيكولاس كوبرنيكوس (باللاتينية: Nicolaus Copernicus) (١٩ فبراير ١٤٧٣ - ٢٤ مايو ١٥٤٣) (بالبولندية: Mikołaj Kopernik) ويلفظ بالبولندية: ميكواي كوبرنيك، هو راهب وعالم رياضياتي وفيلسوف وفلكي وقانوني وطبيب وإداري ودبلوماسي وجندي بولندي، كان أحد أعظم علماء عصره. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرمًا يدور في فلكها في كتابه «حول دوران الأجرام السماوية». وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعد مؤسس علم الفلك الحديث.

(٢) توماس ديجز (بالإنجليزية: Thomas Digges) (١٥٤٦م-١٥٩٥م)، رياضي إنجليزي وعالم فلك.

(3) (2019). cosmology. In Rennie, R., & Law, J. (Eds.), A Dictionary of Physics. : Oxford University Press. Retrieved 24 Apr. 2021.

(٤) جورج لومتر (بالفرنسية: Georges Lemaître)، هو عالم فلك وكاهن كاثوليكي اقترح ما سمي فيما بعد نظرية الانفجار العظيم لنشأة الكون، وقد سماها من قبل «افتراض الذرة الأولية». ولد في ١٧ يوليو ١٨٩٤، وتوفي في ٢٠ يونيو ١٩٦٦، وهو بلجيكي الأصل، كان أستاذًا للفيزياء وعلم الفلك بالجامعة الكاثوليكية بمدينة لوفان.

ونحن نعلم يقينًا بأن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقيقةً ينص قطعيًّا بأن الكون غير أزلي، ولا أبدي، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد خلقه وبدأه بعد أن لم يكن شيئًا، وذلك في القرآن الكريم الذي نزل منذ أربعة عشر قرنًا، فهل لو كان العمري موجودًا في القرن التاسع عشر أثناء اتفاق المجتمع الأكاديمي علىٰ نموذج الكون الثابت الأزلي، هل كان ليُصَنِّف عن نظريته التي تؤمن بأن القرآن الكريم قد يُفهم علىٰ غير ذلك، وأنه لا تعارض بين الإسلام وبين الكون الثابت الأزلي في حقيقة الأمر؟!

والآيات الكريمة في هذا الصدد أكثر من أن تحصىٰ؛ **فمنها قوله سبحانه:** ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[العنكبوت: ٢٠].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[ق: ٣٨].

وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وقوله سبحانه: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[فُصِّلَت: ١٢].

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود: ٧]، والتي ذكرها ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» **فقال:** «يخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان علىٰ الماء قبل ذلك، كما قال الإمام أحمد: عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقبلوا**

البشرىٰ يا بني تميم»، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: «**اقبلوا البشرىٰ يا أهل اليمن**» قالوا: قد قبلنا، فأخْبِرْنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: «**كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه علىٰ الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء**» قال: فأتاني آتٍ فقال: يا عمران، انحلت ناقتك من عقالها. قال: فخرجت في إثرها، فلا أدري ما كان بعدي.

وهذا الحديث مخرَّج في «صحيحي البخاري ومسلم» بألفاظ كثيرة؛ فمنها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله -وفي رواية: غيره، وفي رواية: معه-، وكان عرشه علىٰ الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**».

وفي «صحيح مسلم»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله، صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء**».

وقال الإمام أحمد: عن لقيط بن عامر بن المنتفق العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق العرش بعد ذلك**»..» انتهىٰ.

بل ولدينا آية كريمة قد تدل علىٰ عكس ما اتفق عليه المجتمع العلمي آنذاك، وهي قوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧]، فيقول السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ في «تفسيره»: «﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾: أي: لأرجائها وأنحائها» انتهىٰ.

ويقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية: «قال ابن زيد: أوسعها الله جَلَّ جَلَالُهُ» انتهىٰ.

أما من قال قديمًا بأن الكون والمادة أزليَّان -مثل ابن سينا- فقد كان لعلة مشابهة لما يقوم به العمري في كتابه عن الداروينية، حيث كان يُعمِل ابن سينا عقله الشخصي مقدِّمًا إياه علىٰ النقل، وعقله كان يَعمل بدوره علىٰ محاولات للجمع بين الفلسفة اليونانية وأفكارها وبين النصوص النقلية، فقال بأزلية المادة، وقد ذكر هذا في كتابه «النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية» فقال: «فصل في أن كل حادث زماني فهو مسبوق بالمادة لا محالة: ونقول: إنه لا يمكن أن يحدث ما لم يتقدمه وجود القابل وهو المادة»(١)، وهذه الأمثلة كلها توضح خطورة الإذعان لفكرة ما بحجة اتفاق المجتمع الأكاديمي الغربي عليها لفترة ما.

زعمه بأن الداروينية في الأحياء كقوانين نيوتن في الفيزياء

يستكمل العمري أسباب تصنيفه لكتابه **فيقول**: «**السبب الثالث**: إن نظرية التطور مهمة بالفعل، لا يمكن حذفها ولا حذف آثارها ونتائجها، العلاقة بين نظرية التطور وعلم الأحياء -حسب كثيرين- مثل العلاقة بين نظرية نيوتن وعلم الفيزياء، وحذفها سيكون له النتائج نفسها فيما لو حذفت نظرية نيوتن، أي

---

(١) «النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية»، أبو علي الحسين بن سينا، طبعة آفاق الأولىٰ: ٢٠٢٠، (ص٢٨٠).

انهيار علم الأحياء كاملًا، فقد قدمت النظرية (رؤية شاملة) لعلم الأحياء، جمعت بين أجزائه المختلفة، وقدمت تفسيرًا علميًّا لكثير من الظواهر الطبيعية، خاصة ظاهرة التنوع الهائل الموجود في الكائنات الطبيعية» انتهىٰ.

قلت: هذا قول متهافت بسبب جهله بفلسفة العلم، وفي هذا القول أوجه فاسدة أبينها كما في الآتي:

أولًا: لا يوجد أصلًا ما يُدعىٰ (بنظرية نيوتن)(١) وإنما هي (قوانين نيوتن للحركة)، فهنا قد نظن أنه يجهل الفرق بين النظرية والقانون، أما استدلاله هنا بقوانين نيوتن للحركة في الفيزياء فاسد في ذاته، وسنبين ذلك.

ثانيًا: الاستدلال بأن حذف التطوُّر الدارويني له نفس النتيجة علىٰ علم الأحياء كما هو الحال عند حذف قوانين نيوتن للحركة علىٰ علم الفيزياء هو استدلال فاسد تمامًا، ويدل علىٰ جهل بألِفبائيات الفيزياء، ولا ألومه علىٰ ذلك، فهو ليس متخصصًا في الفيزياء، ولم يدرس فلسفة العلم، ولم يدرس البحث العلمي، ولا هو يأخذ العلم عن أهله، وإنما كما يتضح لنا أنه لا يأخذ إلا بالفرقعات الإعلامية وبرامج العلوم الشعبوية، ولكنني ألومه علىٰ جهله بما يجهله.

أما الاستدلال الفاسد هنا فمن وجهين:

أولًا: فساد في مقارنة قوانين نيوتن بالتطوُّر الكبروي من الناحية المنهجية.

---

(١) ربما كان يقصد نظرية نيوتن للجاذبية، الأمر ليس واضحًا.

وثانيًا: فساد القول بأن حذف قوانين نيوتن يمثل انهيارًا للفيزياء.

فإن المقارنة بين قوانين نيوتن بالنسبة للفيزياء والتطوُّر بالنسبة للأحياء خاطئ تمامًا بسبب اختلافٍ منهجي أساسي، وهو أن قوانين نيوتن للحركة تمثل شقًّا جزئيًّا في الفيزياء، وليس نموذجًا كليًّا، في حين أن التطوُّر في الأحياء هو نموذج كلي وليس شقًّا جزئيًّا. والفارق بين الشق الجزئي والنموذج كلي كالفارق بين قوانين نيوتن للحركة ونظرية الانفجار العظيم في الفيزياء، فالأول جزئي تجريبي، والثاني نموذج كُلِّي، أي أن قوانين نيوتن للحركة والتطوُّر ليسا علىٰ قدم التساوي علىٰ المستوىٰ المنهجي أصلًا.

ثم إن حذف قوانين نيوتن للحركة لا يمثل انهيارًا للفيزياء كما يظن الكاتب، فنحن نعلم أن قوانين نيوتن للحركة ليست قطعية، وذلك بالرغم من فعاليتها حتىٰ يومنا هذا، ولكن المجتمع العلمي بأكمله يعلم أنها ليست إلا قوانين تقريبية ولا تعمل علىٰ المقياس الكوني، ولا المقياس الكَمِّي، ومن المرجَّح والمأمول أن يصل العلماء إلىٰ قوانين موحدة بديلة للحركة تعمل علىٰ كافة المقاييس لتستبدل بذلك القوانين المعمول بها حاليًا كونها قاصرة علىٰ نطاق محدد، فنعلم يقينًا بأن نظريات آينشتاين التي تعمل حتمًا علىٰ المستوىٰ الكوني تتعارض مع نيوتن، بالرغم من أن لكليهما قوانين رياضية مختبرة، وتلك المشكلة العلمية هي مجددًا من الألفبائيات التي يعرفها كل متخصص في العلوم الطبيعية، ولا أقول: كل فيزيائي، بل وكل من درس شيئًا من العلوم الطبيعية

وفلسفتها يعلم ذلك، وإن لم يعلم بتفاصيل المشكلة(١).

بل وأزيدك من الشعر بيتًا، فإن نظريات آينشتاين التي تعمل حتمًا على المقياس الكوني، لا تعمل على المقياس الكَمِّي وتتعارض مع فيزياء الكم!(٢).

استدلاله بالصحف الإخبارية كـ«نيويورك تايمز» كمصدر علمي!

لكن الغريب في الأمر أن الكاتب قد استدل بمصدر عجيب على تلك المعلومة، فنجد أن العمري قد استدل بمقالة من صحيفة نيويورك تايمز! نعم، صحيفة أخبار! أعني أنه تهافُت منهجي ظاهر، فلو حتى استدل بدراسة ما، أو مرجع علمي معتبر لكان لقوله وزنًا ما، ولم يكن ليكون بالضرورة حقيقيًّا؛ لأنه وبناءً على الدراسات الإحصائية فإن معظم الأبحاث العلمية المنشورة يتضح خطؤها بعد زمن من نشرها، وتقدر الأبحاث التي يتم إثباتها والتأكد من صحتها بعد ذلك بما لا يزيد عن ٣٠٪ من الأبحاث، وذلك أصلًا على افتراض أن تلك الدراسات الإحصائية ذاتها صحيحة! أما أن يستدل (المفكر الإسلامي) بصحيفة أخبار، فهو استدلال لا يستحق الرد العلمي.

---

(1) classical mechanics (Newtonian mechanics). (2008). In D. Nelson (Ed.), The Penguin dictionary of mathematics (4th ed.). Penguin. Credo Reference.

(2) general relativity. (2002). In L. J. Robinson, W. Tirion, & P. Moore (Eds.), *Astronomy encyclopedia*. Philip's. Credo Reference.

ثالثًا: يقول العمري بأن النظرية ضرورية كونها تفسر التنوع بين الكائنات الحيَّة، ويفترض هنا أن هذا المبحث هو أساس علم الأحياء، ومن غير ذلك المبحث ينهار ذلك العلم تمامًا، ولا أدرىٰ -أيضًا- من أين جاء بتلك الفكرة؟ فهو لم يستدل عليها.

طبقًا لـ«معجم أوكسفورد» للأحياء، يتم تعريف علم الأحياء أنه «دراسة الكائنات الحية، والتي تشمل تركيبها (الإجمالي والميكروسكوبي)، ووظائفها، وأصلها وتطورها، وتصنيفها، وعلاقاتها المتبادلة، وتوزيعها»(١).

كما يتم تعريف علم الأحياء في «معجم أوكسفورد» للكيمياء الحيوية والأحياء الخلوية أنه «الدراسة العلمية للكائنات الحية، بما في ذلك بنيتها وعملها وتطويرها وتوزيعها وعلاقاتها وتطورها»(٢).

أي أن مبحث تطوُّر الكائنات هو أحد مباحث علم الأحياء وليس أصله، أي أنه لا يُذكر في التعريفات الأكاديمية بأي صفة أن علم الأحياء يبحث بشكل أساسي في تاريخ الكائنات، ومع ذلك فإن الداروينية في ذاتها ليست هي المبحث

---

(1) Hine, R., 2019. A Dictionary of Biology. 8th ed. Oxford University Press.

(2) Cammack, R. and Attwood, T., 2008. Oxford dictionary of biochemistry and molecular biology. Oxford: Oxford University Press.

الوحيد تحت مظلة مصطلح «التطوُّر» وقد بيَّنا ذلك بذكر أنواع التطوُّر المختلفة.

ومجددًا أزعم أن الداروينية مبحث فلسفي عقلي دونًا عن باقي المباحث الأخرىٰ كالكيمياء الحيوية والخلوية مثلًا المَعنيَّين بدراسة الخلايا التي نستطيع رؤيتها بأعيننا ونستطيع معرفة تركيبها يقينا بحواسنا(١)، أما مبحث التطوُّر الكبروي في الأحياء كمبحث الكونيات في الفيزياء، فهو عملية نمذجة فلسفية مدعومة بأدلة تجريبية لتاريخ ما يختص العلم بدراسته(٢)، ومن المعلوم أن المفهوم الخاطئ للكلي لا يهدم المفهوم الصحيح للجزئيات في العلم التجريبي، بل قد قامت فلسفة البحث التجريبي أصلًا علىٰ يد (فرانسيس بيكون)(٣) علىٰ البدء بدراسة الجزئيات إلىٰ الكليات، لا الكليات إلىٰ

---

(1) "biochemistry." Oxford Dictionary of Biochemistry and Molecular Biology. Eds. Cammack, Richard, Teresa Atwood, Peter Campbell, Howard Parish, Anthony Smith, Frank Vella, and John Stirling. : Oxford University Press, , 2008. Oxford Reference. Date Accessed 24 Apr. 2021.

(2) Rice, S. A. (2015). macroevolution. In S. A. Rice, & Ph.D., Facts on File library of American history: Encyclopedia of evolution (2nd ed.). Facts On File. Credo Reference.

(٣) فرانسيس بيكون (بالإنجليزية: Francis Bacon) (٢٢ يناير ١٥٦١م - ٩ أبريل ١٦٢٦) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته =

الجزئيات كما كان الأمر علىٰ يد الفلاسفة اليونان الذين ثار عليهم (بيكون)(١).

يستكمل العمري أسباب تصنيفه لكتابه في (ص٢٠) فيقول: «**السبب الرابع**: إن الحديث عن نظرية التطور يقود بدوره إلىٰ الحديث عن أمور أخرىٰ حتّما: مثل المنهجية العلمية، ومعنىٰ كلمة نظرية، والفرق بينها بالمعنىٰ العلمي وبين الاستخدام العامي للكلمة، والفرق بينها وبين كلمة فرضية، والفروق بين الإيمان والعلم، ومعنىٰ الدليل العلمي، وتراكمية العلم، وكلها أمور أعتقد أن طرحها علىٰ نطاق الجمهور الواسع غير المتخصص سيكون له أثر تثقيفي كبير علىٰ المدىٰ البعيد» انتهىٰ.

قلت: لا ضير من نشر ذلك علىٰ العموم، لكن هل العمري أهل لمثل هذا العمل؟ فلنستعرض مثلًا النقاط التي سردها في هذا النص، ولنحدد العلوم التي نعتقد أنه من الواجب دراستها للتحدث عنها أمام العامة لنشر الثقافة.

أولًا: «المنهجية العلمية، ومعنىٰ كلمة نظرية، والفرق بينها بالمعنىٰ

=

الجديدة القائمة علىٰ الملاحظة والتجريب. من الرواد الذين انتبهوا إلىٰ غياب جدوىٰ المنطق الأرسطي الذي يعتمد علىٰ القياس.

(١) Bacon, Francis (1561 - 1626). (2002). In A. Flew (Ed.), A dictionary of philosophy, MacMillan (3rd ed.). Macmillan Publishers Ltd. Credo Reference.

العلمي وبين الاستخدام العامي للكلمة، والفرق بينها وبين كلمة فرضية، ومعنىٰ الدليل العلمي، وتراكمية العلم» فهل العمري قد درس البحث العلمي والمنهجية العلمية وفلسفة العلوم ليتمكن من التحدث في تلك الأمور؟ أزعم وأقول: لا أبدًا، وبراهين ذلك كثيرة، وقد سردنا بعضًا منها في الصفحات القليلة الماضية، والتي كلها ألفبائيات في فلسفة العلم، أعني أنه لو قرأ العمري كتابًا واحدًا أو اثنين في فلسفة العلم لاستدرك أخطاءه، فالدراسة التي أعنيها ليست بالضرورة دراسة جامعية.

ثانيًا: «الفرق بين الإيمان والعلم» فهل درس العمري العلوم الشرعية للتحدث عن الإيمان والعلم؟ أم أن هذا تحت مظلة المصطلح المطاط «الفكر الإسلامي»؟ فمصطلح «الإيمان» أساسًا مصطلح عقدي(١)، بل هو صلب العقيدة، أي الفقه الأكبر الذي قال العمري بنفسه في لقائه السالف ذكره مع المجلة اللبنانية بأنه لا يُمكن التجديد فيه دون دراسة شرعية متخصصة، ولكنه ها هنا يخبرنا بأنه سيتحدث عن هذا المبحث العقدي دون دراسة شرعية متخصصة.

نلاحظ أن الخوض في أمور العلوم المختلفة بجهل تام هو سمة عامة مشتركة بين كافة الملاحدة الجدد، فمن قرأ لريتشارد داوكنز كبير كهنة الإلحاد

---

(١) راجع: «الموسوعة العقدية للدرر السنية»، الكتاب الأول، الباب الأول: مبادئ ومصادر وخصائص علم العقيدة والتوحيد مع نبذة تاريخية.

الجديد في العالم سيعلم حتمًا أن هذا الرجل لم يقرأ كتابًا واحدًا في فلسفة العلم أو فلسفة الدين، أو حتىٰ كتابًا واحدًا في العلوم اللاهوتية!

بل حتىٰ إنه في تغريدة ما زالت موجودة حتىٰ كتابة هذه الأسطر علىٰ حساب ريتشارد داوكنز علىٰ تويتر يقول نصًّا: «لم اقرأ القرآن؛ لذلك لا أستطيع اقتباس فصل أو آية، لكن أقول: إن الإسلام هو أعظم قوة للشر اليوم»... يعني الرجل يعترف صراحةً بأنه لا يعرف شيئًا عن النصوص الإسلامية، ومع ذلك فلا مشكلة لديه أبدًا في إبداء الآراء ورشق الاتهامات دون علم! كذلك تمامًا يفعل العمري.

يستمر العمري في (ص٢٠) **فيقول**: «**السبب الخامس**: تعاملنا كمسلمين مع هذه النظرية دون رفض مسبق متشنج، سينعكس حتمًا علىٰ تعاملنا مع أشياء كثيرة أخرىٰ تتعلق بتعاملنا مع النصوص الدينية وفهمنا لها» انتهىٰ.

قلت: يقول بأن من أسباب تأليفه للكتاب هو تغيير تعاملنا كمسلمين (بتشنج) مع النصوص الدينية وفهمها، ولكن فهم النصوص مبحث من مباحث العلوم الشرعية وأصول الفقه، فهل درس العمري تلك الأصول؟ نحن هنا لسنا ضد التجديد الفقهي بذاته؛ لكن التجديد الفقهي يتمثَّل في نوازل العصر التي تُعوزها فتاوىٰ ليست موجودة في كتب التراث، مثل المستحدثات من أمور الدنيا، أما تغيير تعاملنا مع النصوص الدينية بذاتها هو من مباحث أصول الفقه، فمثلًا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان من المجددين في عصره، وقد أفتىٰ بغير مذهب

الحنابلة، ومع ذلك فهو لم ينتقص ولم يضرب بالأصول الذي اتفق عليها علماء المسلمين عرض الحائط، لكن مع العمري يختلط الحابل بالنابل، كونه يقول بنفسه: إنه لم يدرس دراسة متخصصة، فكيف له أن يكون علىٰ دراية بأصول التعامل مع النصوص؟!

يقول في هذا الصدد دكتور عبد الله الطيار في كتابه «الفقه الميسر» في شروط المجتهد، أي: الشروط المعتبرة في المتصدي للنوازل الفقهية:

١- إحاطته بمدارك الأحكام (الكتاب والسنة والإجماع).

٢- أن يكون عالمًا باللغة العربية.

٣- معرفة مقاصد الشريعة.

٤- أن يكون عارفًا باستنباط معاني الأصول ليعرف بها حكم الفروع.

٥- أن يكون عارفًا بمراتب الأدلة، وما يجب تقديمه، وما يجب تأخيره.

٦- أن يكون علىٰ معرفة بالواقع والظروف التي تحيط به؛ لأن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره.

٧- أن يكون مأمونًا، ثقة في دينه(١).

وليس بخفي أن العمري ليس بأهل لتلك الشروط المذكورة أبدًا، فبأي حال يُفتي من لا علم له؟!

---

(١) «الفقه الميسر»، د. عبد الله الطيار، (ج١٣/ ص١١).

مساواته النصرانية بالإسلام

يستكمل العمري حديثه في الفصل الأول في (ص٢٢) فيقول: «بدأ العصر الحديث في الغرب بمواجهة مؤسفة بين الدين والعلم، وتركت هذه المواجهة أثرها الكبير في العلاقة بين الاثنين لقرون» ويعلّق علىٰ ذلك النص في الهامش بقوله: «الوضع في العالم الإسلامي كان مختلفًا لأسباب عديدة، منها دعم الخلفاء والحكام للعلماء، وعدم وجود مؤسسة دينية موحدة مثل الكنيسة، هذا لا يمنع حدوث مواجهات بين علماء الدين وآخرين (خصوصًا في مجال الفلسفة) لكن مبادئ العلم التطبيقي التي كانت آخذة بالتشكل ظلت بعيدة عن المواجهة. هذا الوضع تغير تدريجيًّا مع دخول العالَم الإسلامي في فترة الانحطاط. لاحقًا استوردنا العلم الحديث واستوردنا معه مواجهاته للأسف الشديد» انتهىٰ.

قلت: وهنا اختزال لأسباب الاختلاف بين الحالة الإسلامية والحالة الكنسية الأوروبية بشكلٍ مُخْزٍ، وأيضًا يَنِمُّ هذا النص عن جهل العمري بالفلسفة ومباحثها، وفي كلامه هذا أخطاء من الأوجه التالية:

أولًا: اختزل العمري عدم التعارض بين العلم والإسلام بأن السلطة السياسية قديمًا كانت تدعم العلماء وتقوي شوكتهم، وهذا يوحي بأن العلم كان فعلًا متناقضًا مع الإسلام في ذلك الوقت، لكن السلطة كانت تكبح علماء الدين، وهو قول خاطئ تمامًا، فأهل السنة والجماعة مجمعون علىٰ أن العقل الصريح لا يناقض النص الصحيح؛ وذلك السبب الأكبر الذي منع وقوع أي

تعارض أو مواجهات بين علماء الطبيعة وعلماء الدين، وقد ألَّف عدد كبير من السلف في هذا الأمر، ومن أكبر الموسوعات التي خصصت لهذا الغرض كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويمكن تلخيص حالات التعارض التي فصَّلها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الإطار إلىٰ أربعة أقسام:

١- قطعي الثبوت والدلالة النقلي، مع قطعي الثبوت العقلي.

٢- ظني الثبوت أو الدلالة النقلي، مع قطعي الثبوت العقلي.

٣- قطعي الثبوت والدلالة النقلي، مع ظني الثبوت العقلي.

٤- ظني الثبوت أو الدلالة النقلي، مع ظني الثبوت العقلي.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الحالة الأولىٰ يستحيل حدوثها، أي أن قطعي الثبوت وقطعي الدلالة النقلي لا يمكن أبدًا أن يتعارض مع قطعي الثبوت العقلي، فإن حدث ذلك لَما كان الإسلام حقًّا والعياذ بالله، أما الحالة الثانية فممكنة، فنقدم القطعي العقلي دون تحريف للنص، أما في الحالة الثالثة يُقَدَّم قطعي الثبوت والدلالة النقلي علىٰ ظني الثبوت العقلي قطعًا، أما الحالة الرابعة ففيها مرونة، ويجب التوقف فيها والبحث في النقلي والعقلي ليتقدم ما نتثبت منه(١) أي أن القطعي يقدَّم لكونه قطعيًّا لا لكونه نقلًا أو عقلًا، وهذا الأصل لا خلاف فيه بين علماء أهل السنة والجماعة، لكن قول الكاتب هنا يوحي بأن ذلك ليس بحادث

---

(١) راجع التقرير السابع: التعارض بين الدليل النقلي والدليل العقلي، «الانتصار للتدمرية»، ماهر أمير عبد الكريم، مركز تفكُّر للبحوث والدراسات، (ص٤١).

منذ القدم، وأن السلطة السياسية كانت تمنع المشادات والتعارض، وهو خاطئ لِما بيَّنَّا.

ثانيًا: يقول بأن ذلك لم يمنع من وجود مواجهات بين الفلاسفة وعلماء الدين، والفلسفة كما بيَّنا هي المباحث العقلية البحتة التي تنبثق منها فلسفة الطبيعة، والفلسفة اللاهوتية، وغير ذلك، ومن ذلك فإن العلم التجريبي الطبيعي هو نفسه فلسفة الطبيعة، فلا تنفك الفلسفة عن العلم الطبيعي، فلا تنحصر الفلسفة في علم اجتماعي يثرثر في الأسئلة الوجودية الكبرىٰ دون طائل.

ومن ذلك أن المصطلح الأصلي للعلوم التجريبية في كافة الأوساط العلمية سابقًا كان «الفلسفة الطبيعية» أو «فلسفة الطبيعة»، أي أن الفلسفة والعلم التجريبي قديمًا لم ينفكَّا عن بعضهما البعض، وهذا هو الصحيح أصلًا.

علاقة العلماء التجريبيين السابقين بالدين

بل وأزيدك من ذلك شيئًا، فإن الدين ذاته لم ينفك عن الفلسفة بكافة مجالاتها سابقًا، حتىٰ في الأوساط الأوروبية، ومن ذلك ما ذكره دكتور (مارك هاريس) في فصله الذي عَنْوَنَه: «الإيمان والفيزياء، هل يُمكن التوفيق بينهما؟»، وذلك في كتاب «الفلسفة والعلم والدين» الصادر عن جامعة إدنبره الأسكتلندية، فيقول: إن الملاحدة استغلوا قصص التعارض والتراشق بين العلماء وبين الكنائس في أوروبا كدليل علىٰ تعارض وانفصال العلم عن الدين، وذلك ليس دقيقًا.

فإن (جاليليو)[1] ومحاكمته من قبل الكنيسة الكاثولوكية الرومانية لم تكن بسبب ذلك التعارض والحرب المزعومة، بل إن جاليليو وكافة علماء عصره كانوا متدينين جدًّا، ولم يكن حتىٰ الأمر كذلك فقط، بل قد كانوا يعملون علىٰ إثبات علومهم بالنصوص المقدسة، فلم يفرق العلماء بين أبحاثهم التجريبية وبين النصوص المقدسة، فكلاهما علم مُعتبَر.

بل إن جاليليو علىٰ سبيل المثال كان دائم الاستشهاد بالنصوص المقدسة في كتاباته العلمية، فقد كانت فلسفته أن للإله كتابين مقدَّسين، الأول كتاب النص الإلهي (ويقصد العهد القديم والعهد الجديد)، والثاني كتاب العمل الإلهي، ويقصد بالثاني الطبيعة، وذلك في رسالته « Letter to the Grand Duchess Christina» التي جاوب فيها علىٰ الانتقادات التي وُجهت إليه.

بل حتىٰ إن مارك هاريس وغيره من العلماء يعتقدون أن التقدم الهائل الذي حدث في الفيزياء كان بسبب تبني الفيزيائيين الرياضيات كلغة أساسية اعتقدوا أن «الله» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد جعل أعماله في الطبيعة موصوفة بها، وقد كان ذلك نوعًا من القفزات الميتافيزيقية في أوساط الفيزيائيين التي انبثقت من إيمانهم بالخالق الحكيم، فلا أحد يعلم لماذا حقًّا الرياضيات موجودة، ولماذا

---

(١) جاليليو جاليلي أو غاليليو غاليلي (١٥ فبراير ١٥٦٤ - ٨ يناير ١٦٤٢)، (بالإنجليزية: Galileo Galilei)، هو عالِم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي. وُلد في بيزا في إيطاليا. نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة علىٰ أسس فيزيائية، فقام أولًا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، سالكًا من أجل ذلك طريقَ الملاحظة والتجربة.

لها تلك القدرة العجيبة علىٰ وصف الظواهر الطبيعية الخارجية!

إن العلاقة الغير مبررة بين الرياضيات والفيزياء تثير الدهشة إلىٰ حد غير معقول، إلىٰ الحد الذي يجعل البعض يصفه بالمعجزة، أي وصفًا دينيًّا خارقًا للطبيعة نفسها، فلا يوجد قانون طبيعي يبرر «لماذا الرياضيات تعمل بهذا الشكل؟»، حتىٰ إن بعض العلماء مثل إيجوين فينجر في عام ١٩٦٠م كان يعلق علىٰ ذلك الأمر فيصفه بالمعجزة التي لا تبرير لها.

بل وأزيدك من الشعر بيتًا، فإن كثيرًا من الفيزيائيين يستدلون علىٰ صحة معادلاتهم عبر جمالها، فإن الفيزيائيين علىٰ مر التاريخ -ومن أبرزهم آينشتاين- اعتقدوا بأن عمل الإله الخالق الحكيم في الكون جميلًا دائمًا، فإن كانت المعادلة جميلة المظهر، فإن ذلك قد يكون دليلًا أكبر علىٰ صحتها، وإن كانت قبيحة، فمن المرجح أنها ليست جديرة بالثقة إلىٰ الحد الكافي. فإن آينشتاين كان يعتقد أن النظريات الفيزيائية المقبولة يجب دائمًا أن تكون «جميلة»؛ لأنه هكذا خُلَق الكون!

إن آينشتاين كان متدينًا، وسنفصِّل في ذلك، وقد كان كذلك كافة الفيزيائيين تقريبًا، حتىٰ إن «إسحاق نيوتن» الذي يُعَد أحد أكبر علماء الفيزياء علىٰ مر التاريخ كان متدينًا أيضًا، وقد كان رافضًا للثالوث، وقد كانت كثير من أطروحاته تتعلق بشكل كبير بإيمانه الديني، فقد كان يعتقد مثلًا أن (المكان) يظهر في أي وجود، حتىٰ الإله، فلم يعتقد بأن الله يحيطه المكان المخلوق، وإنما (المكان) هو ما يظهر وينبثق من وجود الموجودات؛ ولذلك فقد قال بأن

المكان لا نهائي وأبدي، لا لكون (المكان) ذاته إلهًا، وإنما لأنه ينبثق من الوجود نفسه، أي أن المكان ينبثق من الموجودات، بتعبير آخر، فإن المكان في ذاته ليس بشيء مخلوق حقيقي مستقل، وقد كان كذلك اعتقاده في الزمن، وقد شكَّل ذلك اعتقاد نيوتن بأن الجاذبية حادثة لا محالة في كل الوجود.

أي أن نيوتن قد انطلق من الفلسفة اللاهوتية لبناء دعائم نظريته التجريبية في الجاذبية، فلم يكن وُجِد آنذاك أي خطوط واضحة بين مباحث الفلسفة المختلفة، اللاهوتية والطبيعية والرياضية، فكلها علوم يعمل عليها العلماء في آنٍ واحد لتثبت بعضها بعضًا.

وذلك بالرغم من أن إسحاق نيوتن قد عاش في القرن السابع عشر، أي أنه يعتبر من المتأخرين بالنسبة للنطاق الزمني الذي يناقشه العمري في الإسلام، أي أنه لا يوجد اختلاف وتعارض بين الفلسفة والعلوم التجريبية والعلوم الشرعية بالمعنىٰ الذي زعم العمري حتىٰ من قبل القرن السابع عشر(١).

جهله بالفلسفة

إذًا، فالعمري لا يعلم عن الفلسفة إلا كونها مباحث الأسئلة الكونية الكبرىٰ (أو هكذا نستنبط من حديثه)، وهذا في حقيقة الأمر الاستخدام الشعبوي وليس العلمي للفلسفة.

---

(١) راجع كتاب: «Philosophy, Science and Religion for Everyone» الصادر عن جامعة إدنبره.

ثم إن المواجهات بين الفلاسفة وعلماء الدين لم تكن إلا نتيجةً لاستيراد الفلسفة اليونانية إلىٰ العقيدة الإسلامية، تمامًا كما يفعل العمري نفسه، فبدأت الرحلة بالجهم بن صفوان وقصته الشهيرة عندما قابل مجموعة من الهنود يُدعون بالسُّمَنِيَّة، وقد كانوا دهريين ملحدين، فسألوه عن إثبات عقلي ليؤمنوا بوجود الله كونهم لا يؤمنون إلا بما يتعلق به الحواس، أي أن فلسفتهم كانت أشبه بالفلسفة التجريبية العلموية (وليست المادية) لعوام الملاحدة الجدد في عصرنا، فلم يستطع الجهم الرد علىٰ ذلك، وبدأ يشكُّ في الله ووجوده، وترك الصلاة، واستمر ذلك لمدة أربعين يومًا، ثم رجع إليهم فقال: أتؤمنون بالروح؟ قالوا: نعم، قال: فالله كالروح، موجود لا تتعلق به الحواس ولا يُرىٰ(١).

وهنا نجد أن السُّمَنية قد تناقضوا تناقضًا فظيعًا، ففلسفتهم كانت ألا يؤمنوا بأي شيء لا تتعلق به الحواس(٢)، ومع ذلك آمنوا بالروح التي لا تُحَس من وجهة نظرهم، أما نحن كمسلمين موحدين بالله العظيم مؤمنون بعصمة الوحي الإلهي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، نؤمن بأن الروح تُحَس من واقع النصوص المعصومة، أي أنها تُرىٰ.

ومن ذلك أثبت لهم الجهم بن صفوان وجود الله، وفي حقيقة الأمر فإن تلك الفكرة لم تكن جديدةً كليةً، فقد كانت بشكل أساسي هي ذاتها فلسفة

---

(١) راجع: «التطور الفكري للمعتزلة»، الباب السادس: فرقة المعتزلة، موسوعة الفرق، الدرر السنية.

(٢) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية»، ط: مجمع الملك فهد، (ج٢/ ص٣٣٢).

أرسطوطاليس اللاهوتية.

انقسمت الفلسفة إلىٰ مدرستين كبيرتين فيما يتعلق بالوجود والموجودات:

أولهما: الفلسفة المادية، وهي أن كل شيء تتعلق به الحواس وإن لم يُحَس.

وثانيهما: الفلسفة المثالية، وهي أن كل محسوس غير حقيقي، والعالم الحقيقي هو عالم المُثُل الغير متعلق بالحواس، أما المادية فقد اشتهر بها الفيلسوف اليوناني ديمقريطيس، والمثالية اشتهر بها أفلاطون، أما أرسطوطاليس فكانت له نظرة ثنائية تجمع بين المادية والمثالية؛ ولذلك فإن هذه الفلسفة لا بد لها أن تتناقض في نقطة ما كونها تجمع بين مدرستين من الصعب جدًّا الجمع بينهما في منهج واحد متماسك مبرر منطقيًّا، وقد قامت فلسفة أرسطوطاليس اللاهوتية علىٰ فكرة الثنائية، وأثبت بها وجود الله فيما يُعرف عندنا في الإسلام عند المتكلمين بـ«الحجة الكلامية الكونية».

ونتيجة لذلك كله اضطر علماء الكلام (وهو النسخة الإسلامية من الفلسفة اللاهوتية عند اليونان) إلىٰ لَيِّ عنق النصوص الدينية لتتوافق مع فلسفة أرسطو اللاهوتية، ومن ذلك أن قالوا بأن الله لا تتعلق به الحواس، أي لا يُرىٰ، ولا يتكلم، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، وغير ذلك؛ لأن فلسفة أرسطو في هذا الصدد تقول بأن المحرِّك الأول للعالم لا يتحرك، ومن ضمن تلك الحركة أن يتكلم مثلًا.

يقول أرسطو: «إنَّ العالَم هو سلسلة ترقٍّ للمادة من صورة إلىٰ صورة أرقىٰ منها، فالعالَم درجات بعضها فوق بعض، فما كان من الأشياء في منزلة عالية يكون قد غلبت صورتُه مادتَه، وما كان منها في درجة سافلة يكون قد غلبت مادتُه صورتَه، حتىٰ إذا وصلنا إلىٰ نهاية الحضيض وصلنا إلىٰ مادة لا صورة لها، وإذا وصلنا إلىٰ الذروة العليا وجدنا صورة لا مادة لها، ولكنَّ هاتَيْن النهايتَيْن ليستا إلا معاني مجردة لا وجود لها في الخارج؛ لأن الذي في الخارج -كما قدمنا- ليس إلا مادة بصورة، والعالم يسير في ارتقاء مستمر، والحركة والتغير مستمران ينقلان ما فيه من درجة إلىٰ أعلىٰ منها، تجذبه نحوها قوة الغاية.

هذه الغاية، وإن شئت فقل: الذروة العليا للموجودات، وإن شئت فقل: الصورة المجردة، هي التي يسميها أرسطو «الله»، ويقول: إنه هو الموجود حقًّا؛ لأن له أتم «صورة»، وكلما قارب الشيء من كمال الصورة كان أقرب إلىٰ الحقيقة، وهو العلة الصورية (والغائية والمحرِّكة لهذا العالَم) وإذ كان الله مثلًا أو فكرة أو عقلًا، وإذ كان هو العلة الغائية كان هو غايةَ الغايات، وهو الذي يسعىٰ إليه ويقصد نحوه كلُّ موجود، وإذ كان هو **العلة المحرِّكة كان هو المحرك الأول للعالَم وهو مصدر كل حركة، وإن كان هو ليس متحركًا؛ إذ لو كان متحركًا لتحرك إلىٰ غاية**، وقد قدمنا أنه غاية الغايات، وليس يعني بقوله: «إنه محرك العالم» أنه يدفعه دفعة ميكانيكية من خلفه، وإنما يعني أنه يجذبه إلىٰ غايته، والعالَم لا أول له في الزمن، وإنما سبقه الله كما تسبق المقدمةُ النتيجةَ -

كذلك لا نهاية للعالم؛ إذ لو كان له نهاية لكانت نهايته صورة مجردة- وهي كما أسلفنا لا وجود لها في الخارج»(١).

وبسبب تبنِّي المتكلمين والجهمية ذلك الموقف العقلي الذي لم يستطيعوا تثبيت إيمانهم إلا به اضطروا إلىٰ تغيير ظاهر النصوص قطعية الدلالة قطعية الثبوت لتوافق فلسفة أرسطو اللاهوتية، وبالتالي قالوا: إنَّ القرآن مخلوق، وقالوا: إنَّ الله ليس علىٰ عرشه، وقالوا بأن الله لا يُرىٰ، بل وقال أبو هُذيل العلَّاف: إن الجنة والنار وأهلهما يتوقفان في نقطة ما في الزمن فيصبح كل شيء ساكنًا لا يتحرك أبدًا؛ لأنه يمتنع عنده التسلسل اللانهائي في الأحداث! وغير ذلك من التأويلات والأفكار الفاسدة.

ولم يكن كلامهم ذلك إلا عن طريق تأويلهم وتفسيرهم للقرآن الكريم والأحاديث النبوية بطرق فاسدة؛ وذلك لأنهم ظنُّوا أن فكرتهم العقلية تلك قطعية ولا بد من توفيقها مع الدين، فما كان من ذلك إلا أنهم قد كفروا في نهاية الأمر بقطعيات الدين وثوابته.

وقد صنَّف في الرد عليهم كثير من العلماء، أبرزهم: أحمد بن حنبل، وعثمان بن سعيد الدارمي، وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد فنَّد هؤلاء العلماء -وبخاصة ابن تيمية- الفلسفةَ اللاهوتية والمنطق الأرسطوطاليسي بشكل

---

(١) «قصة الفلسفة اليونانية»، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، مؤسسة هنداوي سي آي سي، وندسور، المملكة المتحدة، (ص١٤٤).

كبير(١)، فتحدث في براهين وجود الله بطرق عقلية أخرىٰ سليمة من أخطاء الفلسفة الأرسطية.

ثالثًا: يظن العمري أن من أسباب عدم التعارض بين علماء الطبيعة وعلماء الدين هو عدم وجود مؤسسة دينية واحدة في بلاد الإسلام كالكنيسة في أوروبا، وهذا -أيضًا- رأي خاطئ، فهو قد بنىٰ ذلك علىٰ افتراض صحة الأسباب السابقة، ويتبيَّن من ذلك أنه ليس علىٰ دراية بمنهج الإسلام الحقيقي في العَلاقة بين العقل والنقل؛ ولذلك قد ظن أن الإسلام كالنصرانية التي يعتقد أحد أكبر فلاسفتها توما الإكويني الإيطالي في كتابه «خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين» «Summa de veritate catholica de contra Gentiles » في الجزء الرابع أنَّ: «العقائد الأساسية في الدين المسيحي لا يمكن إثباتها بالاستناد الىٰ العقل والمنطق، وأنها تتطلب الإيمان بالوحي الإلهي كما جاء في الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين»(٢)، وقد كان ذلك الكتاب موجهًا بالأساس إلىٰ إسبانيا في محاولات لإدخال المسلمين واليهود إلىٰ النصرانية؛ ولذلك حاول (الإكويني) الاعتماد علىٰ الأدلة العقلية والمنطق قدر الاستطاعة في كتابه، ولكن ذلك باء بالفشل باعترافه في الكتاب نفسه.

في حين أننا علىٰ نقيض ذلك تمامًا في الإسلام، فمن ازداد علمًا وازداد

---

(١) راجع كتاب: «الرد علىٰ المنطق» أو «نصيحة أهل الإيمان في الرد علىٰ منطق اليونان» لابن تيمية.

(٢) راجع: «موسوعة الفلسفة»، عبدالرحمن بدوي، (ص٤٣٧).

معرفة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبشريعته ازداد إيمانًا، فمِن المخزي أن يساوي (المفكرُ الإسلامي) بين النصرانية والإسلام في هذا الإطار.

أما ظن الكاتب أن وجود مؤسسة دينية كان من شأنه تقويض العمل البحثي في فلسفة الطبيعة استنباط خاطئ؛ لأن منهج الإسلام مع العلم التجريبي ليس كالنصرانية، وهذا كله اتهام خطير لعلماء المسلمين، وسنفصِّل في ذلك أثناء الفقرات القادمة، ولكنه أصل من أصول منهج العمري بشكل عام، أن لا فرق عنده بين الإسلام والنصرانية.

تجاهل ما قدمه المسلمون في العلوم التجريبية

يستكمل العمري حديثه في (ص٢٢) **فيقول:** «ولأن الكنيسة امتلكت زمام السيطرة والقوة **والعلمُ الحديث كان لا يزال في مهده**، فقد كانت الكفة شعبيًّا لصالح الدين في هذه المرحلة» انتهىٰ.

قلت: وهنا يتجاهل العمري تمامًا العلم التجريبي الذي كان في ذروة تقدمه في بلاد المسلمين قبل أن تعرفه أوروبا، وظن أن العلم التجريبي الحديث كان مهده في أوروبا، ولا يخفىٰ علىٰ عاقل أن أسس البحث العلمي التجريبي كان قد أسس قواعده علماء المسلمين وإن لم يكن بشكل نظامي، فالحسن بن الهيثم وحده كان له ما يقرب من الأربعة والعشرين كتابًا في علم البصريات! ولا مجال لذلك المقال هنا، ولكن الكاتب مرة أخرىٰ يتبنىٰ نظرة عوام الأوروبيين، فحتىٰ الأكاديميون لا يقولون بأن عصور الظلام عندهم كما يسمونها كانت

ظلامًا في كافة العالَم[١]، بل يعترف الكثير بأن نهضتهم العلمية بدأت من ترجمة المؤلفات العربية وغيرها من حضارات ذلك الوقت، وتستدل الكتب الأكاديمية الغربية دائمًا بمؤلفات المسلمين وغيرهم في هذا الصدد؛ وذلك لأن عصور الظلام كانت خاصة بأوروبا الغربية[٢]؛ ولذلك فمِن المخزي أن يتبنىٰ الكاتب فكرة عوام الأوروبيين عن عصور الظلام الأوروبية متجاهلًا تمامًا ما حققه المسلمون في العلوم التجريبية.

علم مشوَّه عن الإيمان في الإسلام

يستكمل العمري حديثه في (ص٢٣) فيقول: «ثمَّة فرق كبير (منسيٌّ في أحيان كثيرة) بين آلية التصديق والقبول بما يقوله العلم الذي يعتمد بشكل كبير علىٰ حقائق خاضعة للتجريب، وبين الإيمان بالدين، الذي يحتوي علىٰ ما هو غيب بالتعريف.

هذا لا يقلل من شأن الإيمان أو يجعله أقل مكانة من العلم، هو فقط في

---

(1) Yorke, B. (2015). 'dark ages'. In J. Cannon, & R. Crowcroft (Eds.), Oxford quick reference: The Oxford companion to British history (2nd ed.). Oxford University Press, Inc. Credo Reference.

(2) "'Dark Ages'." The Oxford Dictionary of the Middle Ages. : Oxford University Press, , 2010. Oxford Reference. Date Accessed 24 Apr. 2021.

مجال آخر مختلف عن مجال العلم، والفصل بين المجالين يحافظ على الإيمان بالدين قبل أن يحافظ على العلم، التعامل مع الدين على أنه علم تجريبي يجعلنا نتوقع أن نجد براهين على الدين حسب المنهج العلمي ووفق معايير علمية، وهذا من الصعب جدًّا جَرُّ الإيمان إلى الخضوع له.

وكذلك يقودنا هذا التعامل إلى أن نتوقع أن يكون القرآن كتابًا في الفيزياء والأحياء وعلوم الجيولوجيا، ويقود هذا بدوره إلى محاولات للتوفيق والتلفيق بين النص الديني وبين معطيات متغيرة باستمرار للعلم، والذي قاد فعلًا إلى مشكلات كثيرة شككت كثيرين في الدين ككل، كما فصل في مكان آخر» انتهى.

قلت: تهافتٌ كبير في مفهوم العلم، ومفهوم الإيمان، فالعلم علمٌ وإن كان تجريبيًّا، والإيمان علم بالله وبشريعته، وكلاهما من عند الله، والمعلوم من الله قطعيًّا لا يتناقضان، وكلام الكاتب هنا متهافت من وجهين:

أولًا: يفرق الكاتب بين أنواع العلوم على أساس أن بعضها قد يتعارض ومع ذلك تكون كل العلوم صحيحة مع تعارضها، وهذا ما لا يقبله عاقل، فأساس البديهيات العقلية أن النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

وكلام الكاتب هنا كقول قائل: «إن التعامل مع الفيزياء على أنه علم فلسفي يجعلنا نتوقع أن نجد براهين على الفيزياء حسب المنهج الفلسفي ووفق معايير علم الفلسفة، وهذا من الصعب جدًّا جر الفيزياء إليه؛ لأننا بذلك نتوقع أن تكون كتب الفيزياء كتبًا في الفلسفة!».

أي أنه بذلك يعتقد أن الفلسفة يُمكن أن تنفصل عن الفيزياء، وإنْ تعارض

كلاهما فكلاهما صحيح! وذلك لأن التوفيق بين كليهما يجعلنا بذلك نتوقع أن تكون كتب الفلسفة فيزياء، وكتب الفيزياء فلسفة!

ونستطيع بلا ريب أن ندرك تهافت هذا الطرح كليًّا؛ وذلك لأن كل العلوم مصدرها -في إطار جدال التطوُّر- إما الوحي وإما العقل والحس، وكل العلوم الصحيحة من أيٍّ مصدر لا يُمكن أن تتعارض؛ لأن العلم هو إدراك الشيء علىٰ حقيقته، وحقيقة الشيء واحدة، فلا يُمكن أن يجتمع في الشيء الواحد صفتان متعارضتان؛ لذلك فإن العلم بصفة الشيء هو إدراك لحقيقة واحدة، فنعلم مثلًا أن نظريات آينشتاين تتعارض مع فيزياء الكم، ومع ذلك لا يقول عاقل: إنه يجب فصل الاثنين عن بعضهما البعض، وإنما نعلم يقينًا أنه إما أحدهما خاطئ بلا شك، وإما كلاهما خاطئ ويوجد ما هو أصوب منهما.

ثانيًا: من المثير للسخرية أن الكاتب يقول: «ويقود هذا بدوره إلىٰ محاولات للتوفيق والتلفيق بين النص الديني وبين معطيات متغيرة باستمرار للعلم، والذي قاد فعلًا إلىٰ مشكلات كثيرة شككت كثيرين في الدين ككل»، أي أنه يعترف بأن العلم التجريبي مستمر في التغيير، فلو التزم هو بما قاله في هذا النص لما ضل في أطروحاته.

ويستمر العمري في (ص٢٥) **فيقول**: «فلنحدد هنا الفرق بين الإيمان بالمعنىٰ الديني، وبين «التصديق» أو القبول بالعلم.

الإيمان بالمعنىٰ الديني، لا يشترط وجود دليل «علمي» -بالمعنىٰ العلمي التجريبي للكلمة-، هو إيمان بما هو «غائب» عن الملاحظة المباشرة. هناك

براهين، إشارات علمية أو بديهية تعضد هذا الإيمان وتقويه، لكنها بطبيعتها مختلفة عما نفهمه من مصطلح «الأدلة العلمية»..» انتهىٰ.

قلت: هنا نجده يتحدث عن (الإيمان) مجدَّدًا، وهو كما أوردنا صلب المباحث العقدية، لكن مجددًا يتحدث عنه العمري كونه موضوعًا (فكريًّا) تحت مظلة مصطلح (الفكر الإسلامي)، ويقول بأن الإيمان بالمعنىٰ الديني لا يشترط وجود دليل علمي بالمعنىٰ التجريبي، وهو محقٌّ، إلا أن رفضه البرهنة علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن طريق العلم الحديث خاطئ؛ لأن وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُمكن إثباته بالعلم التجريبي مع إعمال العقل كما أثبتنا وجود الإلكترونات حول نواة الذرة، فنحن لم نر الإلكترونات (حتىٰ وقت قريب)، ولكننا نعلم يقينًا (بالعلم التجريبي ذاته) أنها موجودة.

وأزيدك من الشعر بيتًا، فإننا يقينا نبحث في وجود الكواكب خارج المجموعة الشمسية «Exoplanets»(١) عبر طريقتين اثنتين لا ثالث لهما:

الأولىٰ: عن طريق تعامد مسار كوكب الأرض مع النجم الذي يدور حوله الكوكب الخارجي مع تعامد الكوكب ذاته في مسار كوكب الأرض، فنستطيع بذلك رؤية حجم الكوكب وشكله؛ لأن الكوكب في هذا الحال يحجب جزءًا

(1) "extrasolar planet." A Dictionary of Physics. Eds. Rennie, Richard, and Jonathan Law. : Oxford University Press, . Oxford Reference. Date Accessed 28 May. 2021.

من ضوء النجم الخارجي الوارد إلىٰ الأرض، أي أن الأمر أشبه بمرور جسم لا نراه مباشرةً أمام مصدر ضوء، فنستطيع تحديد حجم الجسم عبر دراسة الجزء المحجوب من مصدر الضوء إلينا. وتلك طريقة نادرة الحدوث جدًّا؛ لذلك لا يعوَّل عليها(١).

أما الطريقة الثانية: فهي عبر دراسة مسار النجم الخارجي ذاته، فإن وجود كوكب ما حول النجم يعني أن النجم سيتحرك في اتجاه عمودي علىٰ مسار الكوكب بنسبة بسيطة؛ وذلك لأن النجم والكوكب في حقيقة الأمر يدوران حول مركز كتلتيهما، فالكوكب نفسه لا يدور وحده حول النجم، بل إن النجم -أيضًا- يدور حول مركز كتلة النجم والكوكب، ولكن ولأن النجم عادةً أكبر كتلةً من الكوكب فإن تأثير ذلك بسيط جدًّا علىٰ حركة النجم إلىٰ الدرجة التي تجعل الكوكب صاحب الحركة الأكبر. فمن خلال تلك الحركة البسيطة للنجم نستطيع تحديد خصائص الكوكب الذي يدور حوله دون أن نراه أبدًا! وهذه هي الطريقة التي تُستخدم عادةً في اكتشاف كافة الكواكب خارج المجموعة الشمسية(٢).

---

(1) extrasolar planet. In Ridpath, I. (Ed.), A Dictionary of Astronomy. : Oxford University Press. Retrieved 28 May. 2021.

(2) extrasolar planet. In O'Meara, S., & Dasch, E. (Eds.), A Dictionary of Space Exploration. : Oxford University Press. Retrieved 28 May. 2021.

أي أننا قد اكتشفنا (بالعلم التجريبي) حتىٰ تاريخه أكثر من ٤٤٣٤ كوكبًا خارجيًّا دون النظر المباشر! بل عن طريق الأثر الطفيف لكتلة الكوكب علىٰ حركة نجمه! بل وعن طريق دراسة حركة النجم نستطيع تحديد خواص الكوكب الأساسية التي من خلالها نستطيع تصنيفه ما إن كان واقعًا داخل منطقة محتَمِلة لصلاحية الحياة أم لا(١)، ألَا نستطيع استخدام ذلك العلم التجريبي للبرهنة علىٰ إله حكيم خالق للكون لم نراه؟!

إن ما ذكرته في الفقرات الماضية من أساسيات علوم الكواكب والفلك، إذن فإن من السفاهة أن يزعم أيُّ شخص بأنه لا يُمكن البرهنة علىٰ الله بالعلم، فلو كان العلم التجريبي منحصرًا فيما نراه بشكل مباشر لنُسِفَ أكثره دون مبالغة.

ورغم أن البرهان ليس شرطًا للإيمان، لكن الإيمان في الإسلام ليس قرين التصديق الأعمىٰ، أو الشبه أعمىٰ كما يقترح العمري، إذ هو حقيقةً تصديقُ ما لا يُدرَك مباشرةً بالحس في الحياة الدنيا، كالإيمان بغيب يوم القيامة تبعًا للإيمان المدلل بصحة ربَّانيَّة القرآن؛ فهو إيمان معقول أو عقلاني « Reasonable Faith»(٢)، أما علىٰ النقيض من ذلك، فإن تعريف الإيمان عند النصارىٰ

---

(1) Endl, M. (2014). Extrasolar planets. In S. Tilman, D. Breuer & T.V. Johnson (Eds.), Encyclopedia of the solar system. (3rd ed.). [Online]. Oxford: Elsevier Science & Technology.

(٢) «براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم»، د. سامي عامري، مركز براهين للدراسات والأبحاث، لندن – المملكة المتحدة، (ص٧٣).

والملاحدة الغربيين -كما يقول (نيتشه)(١)- هو «الرغبة في اجتناب معرفة ما هو حقٌّ»(٢).

بل ويوجد عدد جمٌّ من المباحث الرياضية التي خَلُصَت إلىٰ وجوب وجود موجود واجب الوجود؛ كون أن الاحتمالات الرياضية لخلق التعقيدات الخلوية في الأجسام مثلًا لا يسعها عمر الكون، فالمباحث في الإثباتات الرياضية واسعة جدًّا، وكلها أمور تحت مظلة العلوم التجريبية، فهل رأينا مثلًا الانفجار العظيم؟ بالطبع لا، ومع ذلك فإننا نستطيع بالحسابات الرياضية صناعة نماذج لتعقل واستنتاج ذلك.

وفي هذا النطاق يوجد عدد من الأمثلة، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر نظرية البانسبيرميا (Panspermia)، والتي تحاول تفسير ظاهرة بدء الحياة علىٰ كوكب الأرض فتقول: إنَّ للحياة أصلًا من خارج كوكب الأرض، أي من الفضاء... وقد آمن بذلك عدد من العلماء مثل عالم الفلك (السير فريد هويل)(٣)، فقد أكد بحزم أن أصل الحياة يجب أن يكون من خارج الأرض؛

---

(١) فريدريش فيلهيلم نيتشه (بالألمانية: Friedrich Nietzsche) (١٥ أكتوبر ١٨٤٤ - ٢٥ أغسطس ١٩٠٠) فيلسوف ألماني، ناقد ثقافي، شاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية. كان لعمله تأثير عميق علىٰ الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث.

(2) Nietzsche, F. and Mencken, H., n.d. The antichrist. p.148.

(٣) فريد هويل، عالم فضاء ورياضيات بريطاني، ولد في ٢٤ يونيو ١٩١٥ بـ«بينغلي» في غرب يوركشاير في بريطانيا، وتوفي في بورنموث في ٢٠ أغسطس ٢٠٠١، يعتبر من أبرز علماء =

لأنه من غير المحتمل أن يكون التطور الكيميائي قد أدىٰ إلىٰ بدء الحياة علىٰ الأرض خلال الوقت المتاح(١).

أما الكاتب هنا فيظن أن الإيمان بالله كونَه إيمانًا بما هو (غائب) عن الحس المباشر فهو أمر لا يُمكن إثباته بالعلم التجريبي، ولو آمن بقوله هذا شابٌّ ضعيف الفَهم لألحد، فيقول هنا ببساطة: إن الإيمان لا يتعلق بالعقل بشكل كامل، ولا يُمكن إثبات وجود الله قطعيًّا تحت مظلة العلم التجريبي، وذلك قول غاية في الفساد، وهي دعوة صريحة للإلحاد وترك الإيمان، فلا يتصور مؤمن غير متيقن من وجود الله، وإن لم يعلم نفسه بتفاصيل البراهين اليقينية إلا أنها براهين مفطور عليها، بل وحتىٰ قد ذهب بعض المتكلمين إلىٰ القول بتكفير من لم يكن علىٰ دراية بالإثباتات العقلية لوجود الله؛ لأنهم لا يتصورون مسلمًا لا يؤمن بقطعية وجود الله عقلًا!

أي أن فكرة العمري عن البرهان اليقيني بوجود الخالق هو نفسه السبيل الذي يطالب به الملاحدة الجدد، حيث يقولون بأن السبيل الوحيد للعلم بوجود

=

الفضاء في القرن العشرين، وساهمت أعماله بشكل كبير في فهم وتفصيل نظرية الانفجار العظيم، وقد كان من معارضيها، وهو من أطلق ساخرًا عبارة الانفجار العظيم (بالإنجليزية: Big Bang) في برنامج علىٰ إذاعة بي بي سي، وله يعزىٰ فضل حسابات تفاعلات الانصهار النجمي، وسمي علىٰ اسمه مذنب مشهور.

(١) Maseyk, K., 2021. Topic 4: Part 2 Mars and the origin of life 2.6.4 Panspermia. The Open University.

الله هو رؤيته مباشرةً، أو مخاطبته مباشرةً، وتلك دعوىٰ مشكلة من أوجه كثيرة، وقد يكون أهمها أن هذا الاعتراض يقوم علىٰ أن «ما لا يُدركه الحس؛ فلا برهان علىٰ وجوده»، وهي دعوىٰ فلسفية لا سبيل للعلم بها بالحس نفسه!(١).

يستمر العمري في (ص٢٥) **فيقول:** «بعبارة أخرىٰ: الإيمان فيه جانب عقلي «مادي/ تجريبي» ممَهِّد بالتأكيد. لكن لا يمكن حذف أهمية «القلب» منه.. والقلب هنا أعني به مزيجًا من «العقل البديهي» و«الحس العام» والمشاعر» انتهىٰ.

قلت: يؤكد هنا الكاتب علىٰ نظرته الغريبة عن الإيمان، فيقول بأن الإيمان فيه جانب عقلي ممهد، أي أنه ليس بقطعي ولا يقيني، والإيمان مزيج من ذلك ومن (الحس العام) و(المشاعر)، وذلك نفسه ما يقوله الملاحدة تمامًا في الرد علىٰ فطرية التدين في البشر، فيرد بعضهم بأن الإيمان ليس إلا حالة احتياج نفسي لا أكثر، وهو حالة من حالات الخوف من الطبيعة الذي اضطرهم للإيمان بخالق ولا علاقة للإيمان بالقطعيات العقلية، وهنا يؤكد لهم الكاتب تلك الفكرة المغلوطة عن مفهوم الإيمان، أي أن الكاتب هنا يؤكد للملاحدة افتراءهم علىٰ فطرية التدين.

ويستمر الكاتب في (ص٢٥) **فيقول:** «في الوقت ذاته، يتعامل البعض مع معطيات العلم علىٰ أنها صالحة للتطبيق علىٰ ما وراء «المادة»، علىٰ الغيب،

---

(١) «براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم»، د. سامي عامري، مركز براهين للدراسات والأبحاث، لندن - المملكة المتحدة، (ص٧٦).

ولأن العلم «المادي» ليس لديه ما يقدمه في هذا الشأن، فهم يتعاملون مع الأمر علىٰ أنه «دليل غياب» لأي شيء خارج الطبيعة المادية» انتهىٰ.

قلت: يستمر هنا في تجاهل العلم والفلسفة مرة أخرىٰ، فهنا مبحث القياس العقلي علىٰ الغيبيات، وهو مبحث كبير جدًّا وعظيم جدًّا من مباحث الفلاسفة والمتكلمين وأئمة المسلمين السابقين، ومع ذلك يختصر الكاتب ويفْصِل في كل ذلك دون علم، وكل قوله هنا فاسد علىٰ الأوجه التالية:

أولًا: ينكر الكاتب أن العلم صالح للقياس علىٰ ما وراء المادة، ويفسِّر «ما وراء المادة» بأنه «الغيب»، أي أنه ينكر القياس علىٰ الجنة والنار والآخرة والله والملائكة والجن وغير ذلك، وذلك قول متهافت وخاطئ؛ فلا يوجد حقيقةً ما يُدعىٰ بما وراء المادة بهذا المفهوم، فالمادة هي كل تُدركه الحواس، ولو أنكرنا المادة في عالم الغيب لأنكرنا الجنة وأنكرنا النار وأنكرنا الملائكة وأنكرنا كل الغيبيات الموجودة حقيقةً، وذلك ما وقع فيه الجهمية وأخرجهم من ملة الإسلام، فهل يفهم الكاتب أن المادة هي (الذرات) الفيزيائية مثلًا؟ فلو اختزل المادة في ذلك فإن هذا ليس ضروريًّا علىٰ عالَم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن، لكنه لا يمتنع عقلًا، أما لو فهم المادة بأنها كل ما يتعلق به الحس وإن لم يُحَس لما قال ذلك القول، وإلا كان جهمي المنهج بالضرورة(١).

ثانيًا: يقول الكاتب بأن العلم المادي لا يوجد لديه ما يقدمه في هذا الشأن،

---

(١) للاستزادة في هذا الباب راجع كتاب: «نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود» ليوسف سمرين.

وهو قول خاطئ مجددًا كما بيَّنَّا سابقًا كون العلم التجريبي والرياضيات من الممكن استخدامهما في إثبات وجود الله، أما مصطلح (العلم المادي) فهو ذاته ليس بدقيق؛ وذلك لأن العلم الحديث الذي يدور حوله النقاش هنا هو العلم (التجريبي) وليس (المادي)؛ لأن المادي كما أوردنا هو كل ما يتعلق به الحواس، أي أنه من مباحث الوجود والموجودات (علم الأنطولوجيا)، فيخلط بين الفلسفة المادية والفلسفة التجريبية[1].

تشوُّه في فهمه بمصدرية العلم ومصدرية الاجتهاد

يستمر الكاتب في (ص٢٦) فيقول: «الإيمان الديني قائم أساسًا علىٰ الوحي، علىٰ النص الديني المقدس. قد تتغير أفهام البشر له وتتنوع، لكنه يبقىٰ ثابتًا بذاته.

بينما العلم «الطبيعي المادي» قائم بشكل كبير علىٰ جهد بشري في الوصول إلىٰ المعطيات العلمية وتفسيرها.. وهذه المعطيات وتفسيراتها تتغير باستمرار، كطبيعة أصيلة داخل المنهج العلمي.

إذن، المقارنة من ناحية المصدر غير مقبولة. الطبيعتان مختلفتان أساسًا» انتهىٰ.

---

(1) empiricism. (2001). In A. P. Iannone, Dictionary of world philosophy. Routledge. Credo Reference.

قلت: هنا يخلط الكاتب بين مصدرية العلم ومصدرية الاجتهادات فيه، فالعلم ذاته سواء كان من الوحي أو من الطبيعة مصدره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده، وهو علم حق واحد لا يتعارض مع بعضه البعض، أما الاجتهادات البشرية لفهم الوحي أو فهم الطبيعة تتغير، فالنص معصوم ولا يتغير، ومُحكماته مفهومة حقة معصومة لا يُمكن أن تتعارض مع العلم الطبيعي الحق، فالحق والحق لا يتناقضان أبدًا، فهما من مصدر واحد.

إذن، فإن علماء الطبيعة في محاولات دائمة للوصول إلىٰ (الحق)، أي (الصحيح) من علم الطبيعة، وهذا (الصحيح) لا يتغير، وهو من الله، أما النصوص الدينية فهي لا تتغير لأنها صحيحة في ذاتها معصومة من نفس المصدر، فالبشر ليسوا معصومين في فهم الدين ولا في فهم الطبيعة، ويتعارضون في فهمهما، ولكن الدين ذاته والطبيعة لا يُمكن أن يختلفا كونهما من نفس المصدر، وهو مصدر حقٌّ كامل العلم والحكمة، فلا يُمكن أن يخبرنا كتاب الله بأن الكون حادث وتخبرنا المشاهدة الحسية العلمية بأزلية الكون.

وهنا يظهر مبحث كبير من المباحث العقلية الفلسفية، وهو مبحث نظرية المعرفة، وهو بذاته علم مستقل وهو «الابيستمولوجيا» «Epistemology»(١)، ومن المآخذ المعاصرة علىٰ عدد من علماء الطبيعة أن بعضهم لا يتخذ موقفًا واضحًا من نظرية المعرفة، وترجع أهمية نظرية

(1) Blackburn, S. (2016). epistemology. In The Oxford Dictionary of Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 24 Apr. 2021.

المعرفة في تحديد ما هو يقيني وما هو ظني، وتحديد إمكانية وضرورة وجود اليقيني والظني، وتحديد المدخلات الموثوقة للمعرفة البشرية وغير ذلك من الأمور التي هي أصل لقيمة المعارف.

يستكمل العمري في (ص٢٨) **فيقول:** «النظرية العلميَّة (حسب تعريف الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة) هي التفسير الأفضل والأكثر تماسًكا لمجموعة من الظواهر الطبيعية التي يمكن ملاحظتها في الطبيعة والتي يمكن أن تدمج ما بين الحقائق والاستنتاجات والقوانين والفرضيات المختبرة» انتهىٰ.

قلت: واستدل الكاتب بتعريف استخرجه من موقع الأكاديمية الوطنية للعلوم، ونقل الكاتب التعريف دون اكمال النظر إلىٰ باقي التعريفات الواردة مثل تعريف «الفرضيات المختبرة» الذي ذُكِرَ في ذيل التعريف الوارد، فنجد في ذات الصفحة في المرجع -قبل تعريف «النظرية»- أنه قد ذُكِرَ تعريف محدد للفرضية وهو: «فرض مؤقت عن العالَم الطبيعي يؤدي إلىٰ توقعات يُمكن اختبارها، فإن تم تأكيد صحة التوقعات، فإن الفرضية تكون أكثر ترجيحًا لأن تكون صحيحة»، أي أن الفرضية كقاعدة أساسية للنظرية يجب أن تمتلك بالضرورة توقعات ما، تمامًا كما يحدث في الفيزياء مثلًا، وقد كان حري به ذكر هذا -أيضًا- من باب الأمانة العلمية.

لكن مع ذلك فإن الاستشهاد بالأكاديمية الوطنية للعلوم الأمريكية ليس نقلًا منصفًا، فيقول دكتور سامي عامري عنها: إنها «تعدُّ أهم مؤسسة علمية

تتولىٰ الدفاع عن «قداسة» المذهب التطوُّري وفرضه بالإرهاب القانوني في أمريكا»(١)، لكن مع ذلك يذكر دكتور سامي عامري -أيضًا- أنها أصدرت كتيبًا في عام ١٩٩٩م بعنوان «العلم والمذهب الخلقي» قررت فيه الآتي: «يرىٰ عديد من المتدينين، ومنهم كثير من العلماء، أن الله خلق الكون ومختلف العمليات التي تقوم التطوُّر الفيزيائي والبيولوجي، وأن هذه العمليات أدَّت إلىٰ خلق المجرات، ومنظومتنا الشمسة، والحياة علىٰ الأرض. هذا الاعتقاد الذي يُسمَّىٰ أحيانًا «التطوُّر الإلهي» ليس في شقاق مع التفسيرات العلمية للتطوُّر. هو في الحقيقة يعكس الطابع الرائع والملهم للكون الفيزيائي كما يكشفه علم نشأة الكون وعلم المتحجِّرات وعلم البيولوجيا الدقيقة، والعديد من التخصصات العلمة الأخرىٰ»(٢).

ومع ذلك، فحتىٰ لو افترضنا أن فكرة ما هي حقًّا «نظرية»، فإن ذلك لا يعني ضرورةً أنها حقيقة، بل من الوارد جدًّا أن يأتي ما يدحضها تمامًا، ومع ذلك فهل التطوُّر الكبروي نظرية أم فرضية؟

بالطبع المصدر الذي استدل به الكاتب هنا من أكبر الداعمين للتطوُّر،

---

(١) «براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم»، د. سامي عامري، مركز براهين للدراسات والأبحاث، لندن - المملكة المتحدة، (ص٤٩٦).

(2) National Academy of Sciences, Science and creationism: a view from the National Academy of Sciences (Washington, D.C.: National Academy Press,1999), p .7.

فيذهب المصدر إلىٰ أبعد من ذلك، فيزعم أن التطوُّر ذاته حقيقة وليس مجرد نظرية، ولكن مع ذلك فمصطلح «التطوُّر» مطاط جدًّا، تمامًا كمصطلح «الفكر الإسلامي»، فيوجد نماذج عديدة من التطوُّر غير الدارويني، فهل الداروينية قد صاغت توقعات ما يُمكن اختبارها في المختبرات التجريبية؟ من قال: نعم، فقد كذب، أما التطوُّر الجزئي سواء صاغ أو لم يصغ فلا ضير، فلا دخل للتطور الجزئي في مباحث بدء الخلق، لكن الأهم من ذلك أن التطوُّر الجزئي يُمكن اختباره بشكل حسي كامل، بل ونرىٰ كل يوم آثاره مثل تحورات الفيروسات كفيروس كورونا.

وهنا يظهر لنا إحدىٰ طرق التدليس الكبيرة التي يعتمدها الملحدون، فمِن عوامهم جَهْل، ومن علمائهم تدليس، ألا وهو استخدام مصطلح التطوُّر بشكل عام دون تحديد للقصد عند الاستدلال، فيستخدمون أدلة التطوُّر الجزئي علىٰ التطوُّر الدارويني تحت مظلة مصطلح «التطوُّر» دون تفريق، وبذلك يُخدع العوام؛ لأن المصطلح واحد، وليس هذا كذاك.

مصطلح النظرية في الأوساط العلمية

ومع ذلك فهل مصطلح «النظرية» يعني دائمًا في الأوساط العلمية الفرضيات المتحقق منها؟! ليس الأمر كذلك، دكتور (كاسي لوسكين) مثلًا في مقاله علىٰ موقع معهد ديسكفري، وهو أحد المتخصصين الذين درسوا التطوُّر بعناية في المرحلة الجامعية وبعد الجامعية يقول بأن الاستخدام لمصطلح النظرية في الأوساط الأكاديمية ليس ثابتًا تمامًا كما يظن البعض، ويقسِّم في

مقالته مصطلح التطوُّر إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولًا: التطور الكامن في التعديلات البسيطة لبعض الخصائص في أنواع الكائنات الحية، وهو يقر بذلك النوع كونه لا يفترض وجود سلف مشترك للكائنات، بل يفترض بأن خصائص بعض الأنواع تتغير مع مرور الزمن، لكن النوع يبقىٰ ثابتًا واحدًا، فلا البشر كانوا قرودًا ولا القرود كانت بَرِّمائيات، ولا البرمائيات كانت أسماكًا، ولا الأسماك كانت بكتيريا، وهذا ما لا إشكال فيه عقديًّا، بل نحن نعلم من بعض النصوص أن صفات البشر قديمًا كانت مغايرة لنا، فقد كانوا أطول وأكبر في الأجساد، ومع مرور الوقت تتضاءل خصائصنا الجسدية، فلا إشكال في هذا النوع عند علماء معهد ديسكفري تمامًا، وأزعم ألَّا إشكال فيه عقديًّا أبدًا.

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلِّم علىٰ أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة علىٰ صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن**»، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦ / ٣٦٧) في شرح الحديث: «أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهىٰ تناقص الطول إلىٰ هذه الأمة واستقر الأمر علىٰ ذلك».

ثانيًا: تطوُّر السلف المشترك، أي أن كل الكائنات جاءت من أصل واحد مشترك، ويقول علماء معهد ديسكفري بأن ذلك لا يتعارض مع التصميم الذكي (أي أن هناك خالقًا)، فلا يمتنع عقلًا عندهم أن ذلك كانت سُنَّة الخالق في كونه، ولكنهم مع ذلك يقولون بأن هذا النوع من التطوُّر فيه جدل علمي كبير، وهذا النوع يتعارض قطعًا مع النصوص الدينية لدينا إن كان الإنسان مقصودًا به أيضًا، أي أنه تطوَّر من نفس الأصل المشترك لكافة الكائنات، فلا يمتنع عقلًا ولا دينًا أن تتطوُّر الكائنات الحية (غير الإنسان) من كائنات أقل، فتكون ذلك سنَّة الله في خلقه، لكن ذلك فيه جدل علمي كبير وغير متفق عليه.

ثالثًا: تطوُّر السلف المشترك عن طريق الطفرات العشوائية، ويُدعىٰ ذلك النوع أحيانًا بالتطوُّر العشوائي، و«الداروينية الجديدة»، وهو النوع الذي يتبناه الملاحدة المعاصرون، بلا علم ولا فَهم للأنواع المختلفة للتطوُّر الكلي نفسه، فتختلط عندهم الأدلة، ويستخدمون أدلة التطوُّر الجزئي والتطوُّر الأول والثاني لإثبات التطوُّر الثالث العشوائي، والذي يرفضه رفضًا قاطعًا علماء معهد ديسكفري(١).

لكن بعد ذلك كله، يخرج العمري ليتخذ الموقف المتطرف من الجدال، ويستعين بأكثر المصادر المتشددة في تأييد للداروينية؛ ليقول بأن هذا هو التعريف الصحيح للنظرية، وهكذا يستخدم في الأوساط العلمية، ولا جدال فيه!

---

(١) راجع مقال دكتور كاسي التالي:

https://www.discovery.org/a/6401

يستمر العمري في (ص٢٩) **فيقول:** «تبدأ النظرية أولًا بالفرضية Hypotheses[١]، والفرضية هي محاولة لتفسير حدث متكرر في الطبيعة، ولا يوجد تفسير علمي واضح له. في هذه المرحلة تكون الفرضية مجرد رأي قائم علىٰ الملاحظات دون وجود دليل يسند هذه الفرضية» انتهىٰ.

قلت: فإن الفرضية محاولة لتفسير حدث في الطبيعة، ومع ذلك فإن الفرضية لا تنتقل إلىٰ النظرية إلا بعد التثبت من التوقعات والتنبؤات التي قامت الفرضية بتوقعها، فهي قابلة للتثبت أو الرفض بعد الاختبار[٢]، ومثال ذلك فرضية الأكوان الموازية، فهي ما زالت فرضية لعدم وجود دليل رصدي عليها؛ وذلك لأنها غير قابلة للاختبار[٣]، ومع ذلك فإنها تُدعىٰ بالنظرية في بعض الأوساط؛ وذلك لما بينا من أن استخدام مصطلح «النظرية» ليس ثابتًا في كافة الأوساط العلمية.

---

(١) أخطأ الكاتب هنا فكتب ترجمة «الفرضية» بالإنجليزية جمعًا لا مفردًا كما ذكرها بالعربية، لكنني قد نقلت النص كما هو.

(2) Blackburn, S. (2016). hypothesis. In The Oxford Dictionary of Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 25 Apr. 2021.

(3) Liddle, A., & Loveday, J. (2008). multiverse. In The Oxford Companion to Cosmology. : Oxford University Press. Retrieved 25 Apr. 2021.

خلطه النظرية بالحقيقة

يستكمل العمري حديثه في (ص٢٩) **فيقول:** «النظرية لا تتحول إلىٰ حقائق بتراكم الأدلة عليها، مهما كثرت هذه الأدلة. بل هي إطار لتفسير هذه الحقائق» انتهىٰ.

قلت: وهو محقٌّ هنا في أن النظرية لا تتحول إلىٰ حقائق، لكنه يخلط هنا للقارئ بين النظرية ذاتها، وبين الحقيقة التي تفسرها النظرية، فالداروينية إن سلمنا بأنها نظرية فلا يُمكن لها أن تكون حقيقة، لكن ما تفسره النظرية إن تراكمت الأدلة عليها إلىٰ حد قطعي يصبح حقيقة.

ولتمثيل ذلك فإن نظرية الجاذبية لنيوتن هي نظرية قد شرحت الجاذبية لأول مرة ثم استنبطت آليات عملها، وهي نظرية بينت لنا حقيقة الجاذبية لأول مرة، إذن فالنظرية ذاتها لا تتحول إلىٰ حقيقة، لكنها تُظهر أمر ما يصبح بدوره مقبولًا كونه في ذاته حقيقيًّا، وذلك عبر تراكم الأدلة حول نظريته الأولىٰ التي كشفته.

إذن، فإن العمري هنا لا يفهم أهمية تراكم الأدلة علىٰ صحة النظرية، فإن تراكم الأدلة علىٰ صحة نظرية ما تفسر حقيقة مفترضة لم نعرفها من قبل يجعل من تلك الحقيقة المفترضة واقعًا مفهومًا، كون النظرية الأولىٰ تساعد البشر علىٰ إدراك حقيقة خارجية في ذاتها حتىٰ ولو لم ندركها من قبل.

فمثلًا: نظريات آينشتاين للجاذبية لم تؤثر علىٰ حقيقة وجود جاذبية أصلًا؛

وذلك لأننا عرفنا الجاذبية من قبل عبر نيوتن(١)، أي أن الجاذبية هي حقيقية خارجية فاعلة خارج الذهن وإن لم ندركها، ولكن النظرية التي تحاول تفسير حقيقة تم إثباتها من نيوتن من قبل -أي الجاذبية- اختلفت، ولكن الأمر في التطوُّر الدارويني مختلف؛ لأن التطوُّر من أصل مشترك لم يصبح حقيقةً من قبل عن طريق نظريات أخرىٰ أثبتت وجود التطوُّر، ثم جاء التطوُّر الدارويني ليفسر تلك الحقيقة بشكل مختلف، وإنما الداروينية هي الإطار الوحيد الآن لتفسير ظاهرة مفترضة، فإن تراكمت أدلة النظرية، ثبتت الحقيقة وإن اختلف بعد ذلك العلماء في محاولة تفسيرها واستنباط آليتها بشكل مختلف.

أي أن العمري في هذا الإطار يسلِّم بشكل تامٍّ لحقيقة وجود تطوُّر من أصل مشترك، لكن الاختلاف الآن فقط في تفسير آلية تلك الحقيقة، أي أن الأمر منتهٍ أصلًا عنده، وهنا كارثة لو تفكَّرنا، فهو بذلك سلَّم أصلًا وموضوعًا بكون التطوُّر من أصل مشترك بين الكائنات الحية حقيقة قطعية في ذاتها!

يستمر العمري في (ص٣٠) **فيقول:** «كذلك تنبأت نظرية التطور بالعثور علىٰ بقايا لحيوانات انتقالية قبل عقود طويلة من العثور عليها» انتهىٰ.

قلت: هذا علم عوام الملاحدة المأخوذ من برامج العلوم الشعبوية دون إدراك للتفاصيل بتاتًا، فإن حفريات الحيوانات الانتقالية كانت وما زالت موضع

---

(1) Liddle, A., & Loveday, J. (2008). gravity. In The Oxford Companion to Cosmology. : Oxford University Press. Retrieved 24 May. 2021.

إشكال كبير، وكل عام تقريبًا تظهر لنا أدلة مباينة يعمل بناءً عليها الملاحدة علىٰ تعديل «شجرة الحياة» كما يدعونها.

ومن أكبر تلك المعضلات الخاصة بالحفريات معضلة «الانفجار الكامبري» والتي هي فترة قليلة من الزمن ظهر فيها معظم الكائنات الحيَّة في السجل الأحفوري، أي: دون تطوُّر بطيء(١).

اتخاذه الموقف الملحد من نظرية المعرفة

ويستمر في (ص٣٧) **فيقول:** «يطرح البعض أسئلة: هل تؤمن بنظرية التطور؟ السؤال بحد ذاته يحمل إشكالية.

في اللحظة التي تعلن فيها إيمانك بالعلم، فأنت صرت تتعامل مع العلم بطريقة غير علمية. صار العلم بالنسبة إليك «إيمانًا».

العلم المادي يتطلب وجود «دليل تجريبي»، لا يعرف اليقين، ويتقدم بالتصحيح المستمر لما صار يعتبر خاطئًا» انتهىٰ.

قلت: يتخذ الآن الكاتب الموقف الشعبي لعامة الملاحدة الجدد في نظرية المعرفة دون دراية، فنظرية المعرفة كمبحث فلسفي تنقسم إلىٰ بضعة أقسام، من ضمنها مبحث الإدراك، ومبحث مصادر المعرفة، ومبحث إمكان المعرفة

---

(1) "Cambrian explosion." A Dictionary of Biology. Ed. Hine, Robert. : Oxford University Press, , 2019. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021.

وحدودها، وقد اتخذ الكاتب الموقف الشعبي لعامة الملاحدة في كونهم يؤمنون بالحس فقط كمصدر وحيد للمعرفة، أو بمعنىٰ أدق أن البحث التجريبي هو المصدر الوحيد الموثوق للمعرفة الإنسانية(١)، أي العلموية، وقد حاول الكاتب انتقاد المصطلح في الكتاب في (صفحة ٢٤)، ولكنه مع ذلك -أيضًا- يجهل معنىٰ العلموية حقيقةً، فقد وصفها بأنها التعامل مع العلم علىٰ أنه دين، وهو مصيب في هذا الجانب، ولكن العلموية تتضمن -أيضًا- موقف فلسفي متطرف في معظم المباحث الفلسفية، فيؤمن عوام العلمويين مثلًا بأن الحس هو المصدر الوحيد الموثوق للمعرفة، وهو ما يعرف بمدرسة (الحِسِّيُّون) في نظرية المعرفة، وهو موقف مخطئ ذاتي التدمير من وجوه عدة:

أولًا: أن مدخلات الحواس لا يُمكن دائمًا الوثوق بها؛ لأن البصر مثلًا قد يخدع، فقد ترىٰ مثلًا كوبًا مكسورًا تحت ظروف معينة وهو ليس بمكسور، وغير ذلك من الأمثلة التي لا مجال لها؛ ولذلك فقد شك «رينيه ديكارت»(٢)

---

(1) Noordhof, P. (2005). scientism. In The Oxford Companion to Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 28 Apr. 2021.

(٢) رينيه ديكارت (بالفرنسية: René Descartes) (٣١ مارس ١٥٩٦ - ١١ فبراير ١٦٥٠)، فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتىٰ اليوم، خصوصًا كتاب (تأملات في الفلسفة الأولىٰ - ١٦٤١م) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة.

في مدخلات الحواس بشكل عام، في حين أن «ديفيد هيوم»(١) اتخذ موقف مصدرية المعرفة من الحس فقط مع اعترافه بقصورها.

ثانيًا: أن فكرة مصدرية الحس للمعرفة لا يُمكن اختبارها بالحس، فلو أقصينا العقل كأحد مصادر المعرفة واعتمدنا فقط على الحس، فلن يتبقى سوى الحس لإثبات مصدرية الحس، وهو أمر مستحيل.

ومع هذا كله، فإن الكاتب ليس متسقًا كغيره من العلمويين في العمل بمصدرية الحس كونهم في واقع الأمر ينتمون إلى المدرسة النقدية في نظرية المعرفة، وهي التي تُعمِل العقل مع الحس كمصدرَين للمعرفة، والعمل بذلك لا بد منه أصلًا لمن يؤمن بمصدرية الحس -أي: العلمويين- كونه لا سبيل للبحث العقلي إلا بالعقل! ولا سبيل لإدراك الموجودات الخارجية والذهنية إلا بالعقل، فالاعتماد على الحس وحده طرح متهافت في أصله.

ثم يزعم الكاتب -أيضًا- أنه لا يوجد (يقين) في العلم، وهو -أيضًا- الموقف الشعبي لعامة الملاحدة الجدد لمبحث من مباحث نظرية المعرفة دون دراية، فبشكل عام تنقسم المواقف من إمكان المعرفة وحدودها إلى قسمين: **موقف شكِّي، وموقف يقيني**(٢).

---

(١) ديفيد هيوم (بالإنجليزية: David Hume) (ولد في ٢٦ أبريل ١٧١١ - توفي في ٢٥ أغسطس ١٧٧٦)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي.

(2) Hookway, C. (2005). certainty. In The Oxford Companion to Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 28 Apr. 2021.

أما المدرسة اليقينية: فهي تؤمن بيقينية المعرفة، فلا يوجد عندهم شك دائم، فمثلًا هل أنا موجود أم لا؟ عند المدرسة اليقينية يوجد إجابة واحدة فقط علىٰ السؤال، وهي إجابة يقينية قطعية لا شك فيها بأي نسبة من النسب مهما كانت.

أما المدرسة الشَّكِّيَّة: فتنقسم إلىٰ قسمين: قسم يتخذ الشكَّ مذهبًا، فهو يبدأ من الشك، وينتهي إلىٰ الشك، فلا يوجد يقين عندهم، وبالتالي فأنا موجود بنسبة ٩٩٪، لكن مع ذلك يوجد احتمالية بنسبة ١٪ أن أكون غيرَ موجود! وهذا هو الموقف الشعبي العام لكافة الملاحدة الجُدد، وهنا الكاتب يتبنى ذلك الموقف، والذي يُعَد أسخف المواقف من حدود المعرفة وإمكانها؛ فهي سفسطة محضة. أما القسم الآخر من المدرسة الشكية فهي مدرسة الشك المبدئي، فيبدأ الأمر عندهم بالشك، لكنه ينتهي إلىٰ اليقين، أي أنه في نهاية المطاف توجد إجابة واحدة يقينية لا شك فيها(١).

فهل يعرف الكاتب أنه في كل مواقفه الفلسفية يتخذ دائمًا نفس الموقف الشعبي لعامة الملاحدة الجدد؟! لا أعتقد ذلك! فأزعم أنه كريتشارد داوكنز ولورانس كراوس لم يقرؤوا كتابًا واحدًا في الفلسفة أصلًا.

كما أن الكاتب -أيضًا- يخلط بين الشك في الحقيقة التي تصفها النظرية،

---

(1) Hookway, C. (2005). scepticism. In The Oxford Companion to Philosophy. : Oxford University Press. Retrieved 28 Apr. 2021.

وبين الشك في النظرية نفسها، فقوانين نيوتن للحركة مثلًا ليست يقينية ولا قطعية، وهي قوانين تقريبية لوصف حقائق خارجية موجودة، لكن حقيقة الحركة وتصرفات الأجسام ذاتها يقينية بالطبع، فقوانين نيوتن وصفت تلك الحركات ولم تخبرنا بوجود الحقيقة من الأصل (بعيدًا عن حقيقة الجاذبية طبعًا)(١).

زعمه بوجود تطبيقات على التطوُّر الكبروي

ويستمر العمري في اتخاذه مواقف عامة الملاحدة في (ص٤١) فيقول: «الأمر ذاته بالنسبة إلىٰ نظرية التطور، عدم «رؤية» الناس لتطبيق مباشر لها في حياتهم اليومية لا يعني عدم وجود هذه التطبيقات وأهميتها في حياتهم اليومية» انتهىٰ.

قلت: يذكِّرني هذا بقول «لورانس كراوس» في مناظرته أمام حمزة تزورتس في بريطانيا: إن «نظرية التطوُّر الداروينى لها تطبيقات!»(٢).

يعرف أيُّ طالب لفلسفة العلم أن ذلك ليس إلا كذبًا وتدليسًا واضحَيْن تمامًا، فليس بمقدور نظرية التطوُّر الكلي أن تخرج عن إطار الفرضية الفلسفية

---

(١) أي أن نيوتن فسر لأول مرة حقيقة الجاذبية، أما باقي أطروحاته عن حركات الأجسام ليست ذات تأثير علىٰ حقيقة تلك الحركات الخارجية نفسها وإدراكنا لتلك الحقائق مع عدم إدراكنا قبله لقوانينها الحسابية.

(٢) رابط المناظرة كاملة علىٰ اليوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=uSwJuOPG4FI

الكلية التي لا مجال للتطبيقات العملية فيها أبدًا، ولا سبيل لاختبارها بالحس؛ فالحس كمصدر معرفي لا يستطيع أصلًا إدراك الكليات، فالتطوُّر الكلي هو نتاج عن عملية نمذجة، ولا مجال لاختبار الجزئيات فيها.

ويذكرني ذلك -أيضًا- بتدليس لورانس كراوس الذي تعمده في كتابه «كون من لا شيء»، حيث اختار عنوانًا مخادعًا أوحىٰ للعامة أنه يمكن فيزيائيًّا للاشيء أن ينتج شيئًا، ومع ذلك ففي طيات الكتاب يقوم (كراوس) بتعريف اللاشيء الخاص به بأنه مادة تعمل في الإطار الكمومي! وأزعم أن ذلك ليس لهدف إلا ليقول الملحد العامي بأن اللاشيء قد يُحدِث شيئًا دون فهم، فهل يعجز لورانس كراوس عن فهم أن اللاشيء المقصود حقيقةً هو غياب كل شيء، وكل مادة، وكل قانون؟ أم أنه يعلم؟ فعلىٰ الافتراض الأول فهو في أقصىٰ درجات الجهل، وذلك ليس مستبعدًا؛ كون عامة الملاحدة الجدد جهال بألفبائيات الفلسفة، ولو كان يعلم فهو مخادع، وهذا ما أظنه.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الطور: ٣٥]: أي أنه أمر بديهي فطري لا يجادل فيه إلا سفسطائي، فلا يُمكن أن نُخلَق من اللَّاشيء، ولا يُمكن أن نخلق أنفسنا بأنفسنا؛ لأن الأول يعني أن الشيء ينبثق من اللاشيء وذلك ممتنع عقلًا، ولأن الثاني يعني أننا قد وُجِدنا قبل أن نوُجَد لنوجِد أنفسنا، وذلك ممتنع أيضًا.

زعمه بأن الداروينية تساعدنا في تحسين مستوى الحياة في العالم!

ثم كان للكاتب افتراضًا من أغرب الافتراضات في (ص٤٢) عندما **قال**: «..«نظرية التطور» لا تساعدنا فقط في فهم العالم، بل هي -بفضل الله- تساعدنا -أيضًا- في **تحسين مستوىٰ الحياة في هذا العالم**» انتهىٰ.

قلت: لا أظن أنه سمع بأدولف هتلر؟ أو ماوتسي تونج؟ أو ستالين؟

هم ثلاثة ملاحدة لا تجمعهم أرض واحدة، ولا لغة واحدة، ولا قومية واحدة، ولكن جمع الثلاثة إلحادهم وإيمانهم العميق بالتطوُّر الدارويني، فقتلوا الملايين من شعوبهم وشعوب الدول الأخرىٰ؛ لأن الإنسان في الداروينية حقيقةً لا فرق بينه وبين نملة، ولا فرق بينه وبين البكتيريا، فكلاهما من أصل واحد، وقد طبَّق هتلر النظرية الداروينية بحذافيرها، وقد شكَّلت النظرية جزءًا كبيرًا من عقيدته التي خطها في كتابه «كفاحي»، فأعدم المعاقين وكل من يراه هو ومن حوله مِن مخلفات البشر الأقل تطوُّرًا، ومن ذلك -أيضًا- أنه آمن بأفضلية العِرق الآري.

لكن مع هذا يؤمن العمري بأن نظرية التطوُّر الداروينية تساعدنا في تحسين مستوىٰ الحياة في هذا العالم، وأزعم أن هذا التصريح لم يخرج حتىٰ من الملاحدة، فلم أسمع بملحد واحد تجرأ علىٰ قول مثل هذا التصريح بهذه الفجاجة أبدًا، فالكل يعلم ما تسببت فيه النظرية من مذابح لعشرات الملايين من البشر!

بعد هذا يبدأ الكاتب في تصنيف فوائد نظرية التطوُّر في المجال الطبِّي، والملاحظ في كل سرده إنما هو للتطوُّر الجزئي الذي أوردنا أنه لا خلاف عليه أصلًا، ولا يدخل في مبحث بدء الخلق، ولم يذكر أبدًا أيَّ تطبيق من التطبيقات المزعومة للتطوُّر من أصل مشترك.

كوميديا التطوُّر الحوسبي!

وددت لو اختصرتُ الحديث ولم أقف عند كل صفحة من صفحات الكتاب، لكن ذلك أمر شديد الصعوبة، فلا تخلو صفحة من صفحات الكتاب إلا بغلط وخطأ أكبر من ذي قبل، ففي (ص٤٦) **يقول**: «لم تقف التطبيقات المستندة إلىٰ نظرية التطور عند هذه المجالات، بل دخلت -أيضًا- في مجال الحوسبة والكمبيوترات، صار هناك حقل خاص خصب وواسع وثري بالاحتمالات والنتائج يعتمد مباشرة علىٰ مبادئ نظرية التطور في التعامل مع الخوارزميات الخاصة بالذكاء الاصطناعي artificial intelligence» انتهىٰ.

قلت: وبحكم دراستي لهندسة البرمجيات والذكاء الاصطناعي أقول: إن هذا استدلال مضحك، فخوارزميات الحاسوب لها أفكار عديدة ومتنوعة، منها ما هو نتاج تفكير مجرد، ومنها ما يُستنبط من الطبيعة، ومن أمثلة الثاني في الذكاء الاصطناعي مجال الشبكات العصبية «Neural Networks» الذي يحاول فيه الباحثون محاكاة مسار المعلومات في خلية عصبية واحدة في الدماغ البشري، فهو نسخ حاسوبي لآلية طبيعية، وهذا مع ذلك ليس بدليل علىٰ حقيقة عمل تلك الآلية الطبيعية في الواقع الخارجي، والتي تحدث في الدماغ.

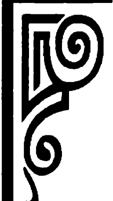
أما تشابه التطوُّر في الأحياء والحوسبة فهو نتاج لدلالة المصطلح ليس أكثر، فهو ليس بدليل علىٰ حقيقة واقعية خارجية، فإن استخدام مهندسي الذكاء الاصطناعي لفكرة التجربة والخطأ وتنقية البيانات ليس بدليل علىٰ حقيقة الانتقاء الطبيعي العشوائي المفترض، بل هي فكرة من الأفكار التي يحاول بها المبرمِجون تنقية البيانات وصنع نماذج حاسوبية أفضل عملًا، فكافة التطبيقات الحاسوبية في هذا الإطار ما هي إلا استنساخ لفكرة أخرىٰ، وليس دليلًا علىٰ إثبات تلك الفكرة، ولا دليلًا علىٰ وجود تلك الفكرة كحقيقة واقعية خارجية.

الروائي يكتب التفاصيل التقنية للنظرية!

بدأ بعد ذلك الكاتب في سرد تفاصيل نظرية التطوُّر، وهذا فيه تجرأ عجيب، فمن المفترض أنه ليس متخصصًا ليدخل في تفاصيل النظرية، لكنه مع ذلك يكتب في تفاصيلها ويستشهد ويستدل بالصحف الإخبارية، ومن المفترض أنه كمفكر -حسب تعبيره- ما يستطيع إلا رصد ما تحتويه الأطروحات من تهافت وتناقض ونقدها من الناحية العقلية، ولكن الكاتب لا يستشعر أي حرج في الكتابة عن العلم دون علم، ونجد أن ذلك أصبح شائعًا بين عدد كبير من الناس بعد التطوُّر التقني وسهولة الوصول إلىٰ المعلومات علىٰ الإنترنت، وذلك مع عدم إدراكهم أن معظم تلك المعلومات في العادة ليست دقيقة كون أن مصدرها عادةً لا يكون من المتخصصين.

❁❁❁




الفصل الثاني

تجرؤ على القرآن والعلم








زعمه بأن النظرية لا علاقة لها بوجود الخالق

ثم يبدأ العمري في الفصل الثالث بتصريح عجيب في (ص١١٠) **فيقول:** «مبدئيًّا، النظرية لا عَلاقة لها علىٰ الإطلاق بمسألة وجود الله.

داروين وكل باحثي التطور كانوا يبحثون في المستحاثات -الأحفورات- (fossils)، أي: في بقايا الحيوانات التي عاشت علىٰ الأرض عبر العصور، وليس في نقاش لاهوتي فلسفي عن وجود الله» انتهىٰ.

قلت: هذا الزعم كان ليكون متسقًا إن كان الكاتب رُبوبيًّا وليس مسلمًا؛ لأن الداروينية لا تتدخل في وجود إله المذهب الربوبي وليس إله الإسلام، وسنفصِّل في ذلك لاحقًا.

ثم ماذا عن الجدال القائم بين المسلمين والنصارىٰ وبين الملاحدة في هذا الإطار؟ إن أصحاب الديانات بشكل عام لا دافع لديهم للخوض في فلسفة الطبيعة إلا لو تناقضت مع قطعيات عقيدتهم، ولا جدال في أن الجدل القائم بين أصحاب الشرائع وبين الدراونة ما نشب إلا لتعارض فلسفة هذا وذاك.

استدلالاته الفاسدة وتجرؤه على القرآن الكريم

ثم يستكمل الكاتب في (ص١١١) **فيقول:** «الأمر بالنسبة إليهم يعتمد علىٰ: مِن أين ترىٰ قصة الخلق كما وردت في النصوص الدينية، ومِن أين تراها كما ترويها نظرية التطور؟ يمكنك أن تتعامل مع النصوص الدينية كما لو كانت تعطيك الصورة الكبيرة، الشاملة.. الصورة الكبيرة تقول لك: إن الله خلق

السماء والأرض وكل ما بينهما، ثم من **الطين** خلق الإنسان الأول.. آدم» انتهىٰ.

قلت: يعني يقول الكاتب: إنه بما أن الله قد خلقنا من الطين، فهو بذلك يعني التطوُّر الداروينيٰ؛ لأن الداروينية تقول بأننا بدأنا ككائن وحيد الخلية في طين الأرض! ألم ير قوله تعالىٰ في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾[ص: ٧١- ٧٤].

ثم بدأ في الاستدلال ببعض الآيات الكريمة، وفسَّرها علىٰ أنها أدلة علىٰ صحة الداروينية، فاستدل بالآية الكريمة في سورة نوح: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤]، علىٰ أنها أطوار التطوُّر الداروينيٰ، فهل لو كان ذلك هو المقصود حقًّا لفسَّر صحابة النبي صلىٰ الله عليه والسلم الآية باجتهاد خاطئ؟ أليس هذا شك في صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيما ورثوه عن نبينا الكريم؟!

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[نوح: ١٤] أي: جعل لكم في أنفسكم آية تدل علىٰ توحيده. **قال ابن عباس: ﴿أَطْوَارًا﴾ يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة**؛ أي: طَورًا بعد طور إلىٰ تمام الخلق، كما ذكر في سورة (المؤمنون). والطَّور في اللغة: المَرَّة، أي: مَن فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظموه» انتهىٰ.

أما ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: «﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[نوح: ١٤] **قيل: معناه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة.** قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، ويحيىٰ بن رافع، والسدي، وابن زيد» انتهىٰ.

ولم يكن ليقول أحد من الصحابة -أمثال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس- ذلك من نفسه، بل إن تفسيره من واقع حديث نبوي شريف في «صحيح البخاري» مروي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه وأرضاه- حيث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**إنَّ خَلْقَ أحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا أوْ أرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إلَيْهِ المَلَكُ فيُؤْذَنُ بأَرْبَعِ كَلِماتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وعَمَلَهُ، وشَقِيٌّ أمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيه الرُّوحَ، فإنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حتَّىٰ لا يَكونُ بيْنَها وبيْنَهُ إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وإنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، حتَّىٰ ما يَكونُ بيْنَها وبيْنَهُ إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُها**».

ثم نلاحظ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الرواية كلمة «**خَلْقَ**» التي تأتي في نفس إطار الآية الكريمة في سورة نوح بأن الله قد خلقنا أطوارًا، وفي هذا ملحظ مهم، أن كثيرًا من التأويلات الفاسدة تختزل معاني الكلمة الواحدة في العربية في المعنىٰ الذي يصب في مصلحة تأويلها دون قرينة، فلماذا في هذه الآية نفضل معنًىٰ لكلمة الخلق علىٰ معنىٰ آخر دون قرينة واضحة؟ بل حتىٰ تجد بعضهم يستخدم معاني الكلمات المعاصرة في تفسير النصوص بالرغم من اختلاف كثير من معاني الكلمات العربية في عصرنا عما كان عليه العرب قديمًا، وهنا يأتي نوع من الاستخدام المتهافت للكلمات العربية في سياق غير سياقها الأصلي لصالح تأويلات فاسدة.

ويستمر الكاتب في الاستشهاد بآيات أخرىٰ مثل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾ [النور: ٤٥].

فيعتقد الكاتب بأن تفسير الآية الكريمة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد خلق كُل دابة من ماء أي من الأصل المشترك الذي بدأ من محيط الأرض، وذلك في حين أنه معلوم منذ القِدم بأن كافة الكائنات الحية لا تنفك عن تكوين الماء فيها ولا تنفك عن احتياجها للماء.

فوجود الحياة في أي كائن أوَّلي لا يحتاج حقيقةً إلىٰ شيء سوىٰ الماء، فلا حاجة مُلحَّة للأوكسجين، ولا حاجة لضوء الشمس، ولا حاجة لغلاف جوي للكوكب المُضيف، فبالرغم من أن ذلك كله ضروري للإنسان، إلا أنه ليس ضروريًّا لعدد من الكائنات الحيَّة الميكروبية الأولية، ومن ذلك فإن البحث عن الحياة في الكواكب الأخرىٰ داخل وخارج المجموعة الشمسية ليس مقيدًا بالبحث عن وجود الأوكسيجين ولا عن وجود غلاف جوي ثقيل، فالعلماء حاليًا إنما يبحثون عن كوكب خارجي أو قمر تابع لكوكب خارجي يحتوي علىٰ ماء أسفل سطحه، فإن وُجد ذلك، فإنه قد يكون دليلًا علىٰ وجود نوع من الحياة الميكروبية الأولية، حيث إن وجود الكائنات أسفل السطح سيحميها من الإشعاعات الفوق بنفسجية الضارة القادمة من الفضاء، فلا حاجة للغلاف الجوي حينئذٍ، وإن بعض الكائنات الحية تستطيع الحياة دون أوكسجين، فلا حاجة لوجوده، وإن بعض الكائنات الحية تستطيع الحياة في درجات الحرارة

شديدة البرودة أو شديدة السخونة (ربما فوق درجة الغليان)، فيوجد بعض الكائنات كتلك تعيش فعلًا في أعماق المحيطات علىٰ كوكبنا فيما يسمىٰ بـ«Hydrothermal Vents»(١)، لكن مع ذلك فإن العامل الوحيد الذي لا يُمكن للحياة أن تنفك عنه في أي كائن أوَّلي هو الماء!(٢).

ثم استدل بآية كريمة أخرىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾[الأنعام: ٩٨].

فيقصد الكاتب هنا أن النفس الواحدة هي الكائن وحيد الخلية الذي تطوُّر عبر ملايين السنوات إلىٰ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في حين أنه قد أتفق كافة المفسرين علىٰ أن المقصود بالنفس الواحدة في الآية الكريمة هو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

مجددًا، لا يقول عاقل باستحالة أن يكون تطوُّر الكائنات الحيَّة كلها من أصل مشترك واحد، فذلك ليس بممتنع عن قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن أن يتطوُّر الإنسان من كائنات أدنىٰ فهو أمر يتعارض قطعًا مع القرآن والسنة، فالإنسان هو

---

(1) Angel, M. (2006). hydrothermal vents. In The Oxford Companion to Ships and the Sea. : Oxford University Press. Retrieved 28 Apr. 2021.

(٢) فيديو لدكتور ديفيد روثري بروفيسور علوم الكواكب بالجامعة المفتوحة البريطانية يشرح عملية البحث عن الحياة في الأقمار والكواكب الأخرىٰ وأهمية الماء بصفة خاصة في هذا البحث:

https://www.youtube.com/watch?v=95RpUMHqw-0

ذلك المخلوق الذي كرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن خلقه بيده الكريمة وأسجد له ملائكته الكرام.

ثم استمر الكاتب إلىٰ أن استدل بآية: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] ثم فسرها بأنها: «قد تُفهم في سياق الانتقاء الطبيعي القاسي الذي كانت كل المخلوقات تعيش فيه دون دستور أخلاقي غير قانون البقاء للأقوىٰ إلىٰ تلك المرحلة» انتهىٰ.

قلت: وهذا بمخالفة كل تفسير من تفسيرات القرآن الكريم!(١).

استشهاده بمحمد شحرور وبموقع ملحد عربي

ثم استمر في (ص١١٤) في التأويل **فقال**: «وربما من المهم أن أذكر هنا أن النظرية في أول انتشارها في أوروبا كانت تتهم من قبل معارضيها بأنها «محمَّدية» ربما لأن مبدأ التطور «بشكل عام» كان موجودًا في التراث الإسلامي، حيث أشار لها غير واحد من فلاسفة المسلمين مثل (الجاحظ) و(إخوان الصفا) و(ابن خلدون)، والحديث هنا عن مبدأ التطور بشكل عام وليس عن أساسات النظرية بالتأكيد» انتهىٰ.

قلت: هنا يَعتبر الكاتب أن (الفلاسفة) مصدر للفقه في الإسلام، وهذا

---

(١) راجع: «تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ» لتلك الآية، فقد ذكر التفسيرات المختلفة مع دلائلها وبراهينها.

خطأ كبير واضح، إلا أن مصدره في ذلك النص كان مقالًا من موقع «رصيف ٢٢»، والذي لا يخفىٰ علىٰ أحد أنه موقع من أكبر مواقع الملاحدة العرب علىٰ الإنترنت، فهو موقع يأوي ملاحدة من الأشد تطرفًا وتجرؤًا علىٰ الإسلام، فهل هذا مصدر يُعتد به عند (المفكر الإسلامي)؟! ثم بعد ذلك استدل بـ(محمد شحرور) علىٰ أن آدم وحواء عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ قد يكونا مجرد رمزَين وليسا بشخصيتين حقيقتين في واقع الأمر!

أي أنه متخبط في هذا الأمر، فتارة يستدل بأن آدم وحواء عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ ليسا بشخصيتين حقيقتين، وإنما قد يكونان رموزًا، أو قد يكونان قبيلة من القبائل البدائية الأقل تطوّرًا، وذلك كله بلا دليل من القرآن ولا من السنة ولا من الصحابة ولا من أحد من العلماء، وإنما رأي وهوىٰ بُغية التوفيق بين الإسلام العظيم وبين الداروينية التي يظنها قطعية، أي أن أقوال داروين عنده أثقل وزنًا من أقوال رسولنا الكريم ومن أقوال صحابته وتابعيهم ومن أقوال كافة علماء المسلمين علىٰ مدىٰ ١٤ قرنًا.

تفسيره الفاسد للآية الكريمة: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[الزُّمَر: ٦] ولآيات أخرى عن بدء الخلق

ثم يستمر في (ص١٣٤) فيقول: «﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزُّمَر: ٦].

«خلقنا» من نفس واحدة أولًا، ثم بعدها هناك ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾، خلق مرة أخرىٰ رغم أن هناك خلقًا سبقه من نفس واحدة، بل هناك ﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾.. هذا تدرج واضح في الخلق رغم أن هناك لفظَ خلق في البداية» انتهىٰ.

قلت: مجددًا هنا العمري يقول بما لم يقله أحد من المفسرين ولا الصحابة، وما لم يأت به شرع ولا دين، فيفسر (النفس الواحدة) أنها (الخلية الحية الأولىٰ)، ولا يخفىٰ علىٰ عاقل أن الآية تتحدث بشكل خاص عن سيدنا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي تفسير الآية يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿خَلَقَكُمۡ﴾ أيها الناس ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني من آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضِلَع من أضلاعه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذِكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضِلَع من أضلاعه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾، وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته، ولا شك أن الوالدَين قبل الولد؟

فإن في ذلك أقوالًا:

أحدها: أن يقال: قيل ذلك **لأنه رُوي عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله**

لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ كُلَّ نَسَمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ بَعْدَ ذلك الجَنَّةَ، وَخَلَقَ بَعْدَ ذلك حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلاعِهِ» انتهىٰ.

قلت: فهل حري بالمسلمين أن يأخذوا تفسير العمري بدلًا من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتفسير الصحابة والتابعين الواضحة للعيان؟!

ثم إن تفسير (النفس) في هذه الآية لا يوجد فيه خلاف واحد معتبر بين المفسرين كافة! فيقول القرطبي في «تفسيره»: «قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ **يعني آدم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني ليحصل التناسل، وقد مضىٰ هذا في (الأعراف) وغيرها» انتهىٰ.

ومن المثير للسخرية -أيضًا-: أن يقوم العمري بتفسير ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ بأن هذا (تدرج) واضح في الخلق، في حين **يقول القرطبي** في تفسير هذه الآية: «﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال قتادة والسدي: **نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، ثم لحمًا.** ابن زيد: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: خلقًا في بطون أمهاتكم **من بعد خلقكم في ظهر آدم**. وقيل: في ظهر الأب ثم خلقًا في بطن الأم ثم خلقًا بعد الوضع. ذكره الماوردي. وقرأ حمزة: (إِمِّهاتكم) بكسر الهمزة والميم. والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم. الباقون بضم الهمزة وفتح الميم.

﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: **ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.** قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك.

وقال ابن جبير: **ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة الليل.**

والقول الأول أصح. وقيل: ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة، وظلمة الرحم. وهذا مذهب أبي عبيدة. أي: لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين» انتهىٰ.

وبنفس المعنىٰ يفسر الآية كافة المفسرين، فابن كثير مثلًا في «تفسيره» **يقول:** «وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الزُّمَر: ٦] أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة، **وهو آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وهي حواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: قدَّركم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: **يكون أحدكم أولًا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحمًا وعظمًا وعصبًا وعروقًا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقًا آخر،** ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ يعني: **ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة -التي هي كالغشاوة والوقاية علىٰ الولد- وظلمة البطن.** كذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد وغيرهم» انتهىٰ.

وقد استدل الكاتب علىٰ فرضيته بأن الخلق المباشر في القرآن لا يخص آدم وحده، وإنما يخص البشر كلهم في (ص١٣٥) حيث **قال:** «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠]: **هل هناك من يقول:** إننا «خُلِقْنا خلقًا مباشرًا» من الطين أو التراب؟ أم أن المعنىٰ مفهوم تمامًا بأن

الخلق من الطين أو التراب هنا كان في الأصل الأول؟ في البداية المبكرة؟» انتهىٰ.

قلت: الكاتب هنا محقٌّ، فنحن لم نُخلق مباشرة من الطين أو التراب، ولكن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خُلق مباشرة من الطين والتراب، وآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو (الأصل الأول) لنا.

وفي تفسير الآية يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ذكره: ومِن حُججه علىٰ أنه القادر علىٰ ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه **خِلقة أبيكم من تراب**، يعني بذلك **خلق آدم من تراب**، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بيَّنا فيما مضىٰ من خطاب العرب مَن خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٢٠] يقول: ثم إذا أنتم **معشر ذرِّية مَن خلقناه من تراب** ﴿بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾، يقول: تتصرفون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠] خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من تراب ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٢٠] يعني: ذرِّيَّته» انتهىٰ.

وأيضًا، هذا ما لا خلاف فيه بين المفسرين، وقد بيَّن معناها -أيضًا- ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» **فقال:** «يقول تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٠] الدالة

علىٰ عظمته وكمال قدرته أنه **خلق أباكم آدم من تراب**، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٢٠]، فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظامًا، شكله علىٰ شكل الإنسان، ثم كسا الله تلك العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو سميع بصير. ثم خرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القُوىٰ والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتىٰ آلَ به الحال إلىٰ أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه.

فسبحان مَن أقدرهم وسيَّرهم وسخَّرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنىٰ والفقر، والسعادة والشقاوة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾[الروم: ٢٠].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيىٰ بن سعيد وغندر، قالا: حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك**».

ورواه أبو داود والترمذي من طرق، عن عوف الأعرابي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح» انتهىٰ.

زعمه بأن الداروينية لا تدخل في مبحث بدء الخلق

ويستمر فيقول في (ص١٤٢): «في كل الأحوال أجد نفسي مضطًّرا إلىٰ التذكير مرة أخرىٰ: نظرية التطور لا تبحث في سؤال: مَن بدأ الخلق؟ كي تزج بسهولة في جدل الإلحاد والإيمان.

هي لا تبحث في كيف نشأت الخلية الحية الأولىٰ وأصل وجودها.. هذه المباحث وغيرها قد تكون سبيلًا إلىٰ الإلحاد، لكن كل هذا خارج نطاق نظرية التطور، وجر النظرية وما تطرحه إلىٰ نطاق الإيمان والإلحاد يعبر غالبًا إما عن عدم فهم لما تطرحه النظرية، أو عن رغبة مسبقة للوصول إلىٰ حكم معين ضدها أو ضد الإيمان» انتهىٰ.

قلت: فهذا تعمد واضح للتدليس علىٰ القراء؛ وذلك لأن الداروينية الجديدة بمفهومها تحت مظلة العلموية التي يتبنىٰ العمري كافة مواقفها الفلسفية تقدم شرحًا لبدء خلق الخلية الأولىٰ، أو بالأحرىٰ تقدم افتراضًا لانبثاق الكائنات الحية من الجمادات عبر ما يُدعىٰ بالـ«Abiogenesis» السالف ذكره، ولو لم يكن ذلك مبحثًا مزعومًا من مباحث الداروينية لما أَلَّف عدد من علماء الكيمياء الحيوية والخلوية كتبًا في انتقاد الداروينية لهذا السبب، فعلماء الكيمياء الحيوية والخلوية متخصصون في دراسة الخلايا نفسها بعيدًا عن النمذجة الكلية لتاريخ الكائنات الحية، ومن أبرز من كتبوا في هذا الإطار علىٰ سبيل المثال لا الحصر كان دكتور (مايكل بيهي) وهو بروفيسور بجامعة لاهاي بنسلفانيا، وقد ألف وحده سبعة كتب في نقد الداروينية علىٰ النطاق الخلوي.

بدأ دكتور (مايكل بيهي) أولىٰ كتبه عام ١٩٩٦م بعنوان «صندوق داروين الأسود»، ثم في عام ١٩٩٩م كتاب آخر بعنوان «هزمت الداروينية؟»، ثم تمتد السلسلة حتىٰ كتابه الأخير المنشور عام ٢٠٢٠م بعنوان «مصيدة فئران لداروين».

وإنما أستشهدُ بمايكل بيهي علىٰ وجه الخصوص كونه أحد المتخصصين في الكيمياء الحيوية؛ وذلك لأن هذا التخصص يعمل علىٰ النطاق الدقيق للأحياء الذي يشكل أزمة كبيرة للداروينية؛ لأن الداروينية تعتمد علىٰ انبثاق الخلية الحية الأولىٰ من مجموعة مواد أولية عشوائيًّا، في حين أنه رياضيًّا لا يكفي عمر الكون كله لذلك، وإن لم يكن كذلك لما وُجدت نظرية كنظرية «البانسبيرميا» السالف ذكرها.

وهذا الأمر من أبرز الإشكاليات المعروفة عن نظرية التطوُّر الداروينية، وذلك ما يُدعىٰ بمعضلة **Levinthal**، فما سبب حضور هذه المعضلة في الأوساط العلمية لو كانت الداروينية مثل ما قال العمري لا تتدخل في أصل الخلية الأولىٰ؟ ولماذا ألَّف عدد كبير من العلماء في الرد علىٰ أفكار الداروينية عن نشأة الخلية الأولىٰ؟!

أيضًا، من أبرز العلماء المعاصرين (بالإضافة إلىٰ مايكل بيهي) الذين صنَّفوا عددًا من الكتب في هذا الصدد هو دكتور (كورنيليوس هانتر)، وهو بروفيسور متخصص في الفيزياء الحيوية. والقائمة حقيقةً تمتد طويلًا، ثم تكفي فقط مظلة معهد ديسكفري الذي يعد من أكبر المؤسسات العلمية المؤثرة في العالم، والذي يتبنىٰ كل علمائه موقفًا مضادًّا للداروينية الجديدة.

ريتشارد داوكنز والكائنات الفضائية!

وعلىٰ الضِّفَّة الأخرىٰ نجد فرسان الإلحاد الجديد -كما يُسَمَّون- يتخبطون في تفسير الخلية الأولىٰ، حتىٰ إنه في فضيحة مخزية في أحد اللقاءات قال «ريتشارد داوكنز» الذي ألف كتاب «الجين الأناني» وكتاب «وهم الإله» ردًّا علىٰ مقدم البرنامج الذي سأله: «ما احتمالية وجود تصميم ذكي كتفسير لظاهرة الحياة مع وجود المشاكل العديدة علىٰ المستوىٰ الجيني؟».

فقال داوكنز نصًّا: «يُمكن أن يأتي الأمر علىٰ النحو التالي: من الممكن أنه في وقت قديم، حضارة ما في مكان ما في الكون قد تطوُّرت بالداروينية حتىٰ وصلت إلىٰ مستوىٰ عالٍ جدًّا من التقدم والتقنية، ثم خلقوا وشكَّلوا الحياة التي نعرفها ثم زرعوها علىٰ كوكب الأرض! وهذا محتمل، وأعتقد أنه محتمل لأننا نستطيع إيجاد أدلة علىٰ ذلك، فنحن عندما ننظر إلىٰ التفاصيل في الكيمياء الحيوية والأحياء الخلوية يُمكننا أن نجد **توقيعًا/ بصمةً لمصمم**، وهذا المصمم من المرجح أن يكون ذكاءً عاليًا من مكان آخر في الكون»(١) انتهىٰ.

قلت: لا يوجد ما أقوله أكثر مما قاله مقدم البرنامج ردًّا علىٰ ذلك، فقد قال مقدم البرنامج نصًّا: «إذًا، فداوكنز ليس ضد التصميم الذكي، لكنه مع ذلك ضد أنواع محددة بذاتها من التصميم الذكي، مثل الله!».

---

(١) رابط للفيديو مترجم إلىٰ العربية:

https://www.youtube.com/watch?v=PVGsU-8i8o8

ولم أقحم داوكنز نفسه في هذا الحوار إن لم يكن بدء الخلية الأولىٰ مبحثًا من مباحث الداروينية التي يؤمن بها، فهل يعرف العمري الداروينية أكثر من داوكنز نفسه؟ يوجد الكثير من علامات الاستفهام كون تلك الأمور من أبسط البديهيات التي لا تخفىٰ علىٰ من لديه وصول إلىٰ الإنترنت!

إحسان الظن بداوكنز والإعراض عن الرسول والصحابة

وما يزيد ذلك غرابة دفاع العمري عن كلام ريتشارد داوكنز عندما قال بأنه يريد إنشاء «مليشيا إلحاد» للهجوم علىٰ الدين، **فقال العمري** في هامش (ص١٤٣): «علمًا أن معنىٰ ميلشيا هنا لا يشترط المعنىٰ المسلح الذي يتبادر إلىٰ الذهن، بل تعني معنىٰ المجموعة المقاتلة أو الكتيبة حتىٰ لو كانت دون سلاح» انتهىٰ.

قلت: يزيد ذلك من علامات الاستفهام، فقد أحسن الظن بداوكنز، وأعرض عن أطروحات كافة علماء المسلمين علىٰ مدىٰ ١٤ قرنًا، بل وأعرض عن آثار صحابة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، وهذا ما أزعم أنه لا يخرج إلا ممن قد تشرَّب قلبه بتمجيد السيد الغربي.

والعاقل سيعلم أن ميلشيا الإلحاد ومؤسسه وكبير كهنته ريتشارد داوكنز خطر مُحدق بالإسلام والمسلمين، فعداء داوكنز وباقي مليشيا الإلحاد للإسلام يفوق عداءهم وبغضهم للنصرانية، وما وصل أحد الملاحدة إلىٰ السلطة في أي رقعة من رقعات الأرض إلا وقد أباد وأفسد، فماذا لو وصلت تلك الميليشيا إلىٰ السلطة في الغرب؟! لن يسمع العمري وقتها عن «الإنسانية» و«التسامح»

و«العلم» وتلك المصطلحات البراقة حينئذ(١).

زعمه بأن حركة الإلحاد الجديد فيها علماء لا غبار على سمعتهم في الوسط الأكاديمي

ثم استمر بالدفاع عن ريتشارد داوكنز في (ص١٤٣) **فقال:** «ثلاثة من هؤلاء الفرسان الأربعة لديهم تخصصات علمية (بمعنىٰ العلم التجريبي) وهؤلاء (علماء) في تخصصهم، وليس ثمة غبار علىٰ سمعتهم في هذا المضمار، وكلهم انتموا إلىٰ جامعات عالمية مرموقة، وكان داوكنز تحديدًا قد حاز سمعة طيبة منذ أن أصدر كتابه (الجين الأناني) في عام ١٩٧٦ وكان لا يزال شابًّا في أواسط الثلاثينيات، وأحدث ما اعتُبر يومها ضجَّة في عالم البيولوجيا التطورية» انتهىٰ.

قلت: كعادة الملاحدة الجدد العلمويين يرىٰ الكاتب أن كل من له شهرة عالمية فهو بالضرورة أكثر علمًا من غيره، وإن كان متسقًا مع هذا المنهج فواجب عليه أن يعترف بغزارة علم لورانس كراوس مثلًا، فهو في عصرنا أشهر كثيرًا من الفيزيائي والرياضياتي (كارل فريدريك جاوس)(٢) في عصره، حيث

---

(١) أنصح بقراءة كتاب «ميليشيا الإلحاد» للشيخ عبد الله العجيري، والذي قد قدم فيه تفاصيل هامة عن حركة الإلحاد الجديد وسماته وعدائيته الضخمة لكل ما له علاقة بالدين، خاصةً عدوهم الأول والأكبر (دين الإسلام)!

(٢) يوهان كارل فريدريش غاوس (بالألمانية: Johann Carl Friedrich Gauß) ولد في ٣٠ أبريل ١٧٧٧، وتوفي في ٢٣ فبراير ١٨٥٥. لقب بأمير الرياضيات، ويعد واحدًا من العلماء الثلاثة الأهم في تاريخ الرياضيات. كان رياضياتيًّا وفيزيائيًّا وعالمًا ألمانيًّا ساهم بالكثير من =

إن وسائل الشهرة الآن أكبر كثيرًا مما سبق، أليس هذا بمنطق شعبوي متهافت؟!

ثم يخبرنا الكاتب في هذه الفقرة أنه لا غبار على علماء الإلحاد الجديد هؤلاء، وهذا خاطئ، فمن المعلوم أن عليهم عددًا كبيرًا من الانتقادات من كافة الأطياف العلمية، ولا يخفى على أي طالب علم الفارق الشاسع بين الملاحدة المتقدمين والملاحدة الجدد.

لورانس كراوس كمثال على سمعة الملاحدة الجدد السيئة أكاديميًا

يظهر هذا الفارق مثلًا بين الفيزيائي (كراوس) والفيزيائي والفيلسوف (ريتشارد فاينمان)(١)، فمع أن ريتشارد فاينمان كان ملحدًا من أصل يهودي،

=

الأعمال في نظرية الأعداد والإحصاء والتحليل الرياضي، والهندسة التفاضلية والجيوديسيا وعلم الاستاتيكا الكهربائية وعلم الفلك والبصريات. لقب بأمير الرياضياتيين، حيث يرقى إلى مستوى أكبر العلماء تأثيرًا في تاريخ الرياضيات، كما أطلق على هذا العلم لقب ملك العلوم.

(١) ريتشارد فيليبس فاينمان (بالإنجليزية: Richard Phillips Feynman) (١١ مايو ١٩١٨ - ١٥ فبراير ١٩٨٨) فيزيائي نظري أمريكي، معروف بإسهاماته في الصياغة التكاملية للمسار الخاصة بميكانيكا الكم، نظرية الكهروديناميكا الكمية، وفيزياء الميوعة الفائقة والتبريد الفائق للهيليوم المسال، وكذلك بإسهاماته في فيزياء الجسيمات، حيث اقترح نموذج البارتون. حصل فاينمان، جراء إسهاماته في تطوير الكهروديناميكا الكمية، على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٦٥، بالمشاركة مع جوليان شفينغر وشينيتشيرو توموناغا.

إلا أن الفارق بين كراوس وفاينمان لا يسعنا إيضاحه في سطور معدودة.

كراوس الذي يعتبره الكاتب (ككافة الملاحدة الجدد) من أبرز (علماء) حركة الإلحاد الجديد، قد نشرت عنه المجلة العلمية (Scientific American) مقالًا كاملًا بعنوان (**لورانس كراوس: هل هو فيزيائي، أم فقط فيلسوف سيئ؟**)(١)، ونجد في المقال عددًا كبيرًا من الانتقادات التي وُجهت لكراوس من قِبل عدد من عمالقة الفيزياء في العالم الذين ينتقدون جهله التام بالفلسفة، ثم إن (كراوس) نفسه أصلًا يعتقد أن الفلسفة مجرد هراء حسب تعبيره. -أيضًا- انتقد الكثير من العلماء بشكل كبير كتابه «كون من لا شيء» الذي يعتقدون أنه مخادع.

والجدير بالذكر أن انتقادات العلماء لكراوس لم تكن ببعيدة عن داوكنز، فداوكنز كان مبهورًا بكتاب كراوس كونه يمثِّل بالنسبة له حلًّا لمعضلة الخلق الذكي للكون ككل وليس فقط علىٰ مستوىٰ الكائنات الحيَّة، وقد انتقد كراوس ثناء داوكنز المبالغ فيه لكتابه «كون من لا شيء»؛ لأن كراوس تورط كثيرًا بسبب هذا الكتاب!

ومن الاعتراضات علىٰ كراوس مثلًا كانت من قِبل الفيزيائي (جورج

---

(١) رابط المقال:

https://blogs.scientificamerican.com/cross-check/is-lawrence-krauss-a-physicist-or-just-a-bad-philosopher

إيليس)(١) **فقال عن كتابه:** «بالتاكيد لا، لم يقدم كراوس إجابة عن عنوان كتابه.

إنه يقدم نظريات تخمينية غير مختبرة لكيفية ظهور الأشياء من مجموعة كيانات موجودة مسبقًا، بما في ذلك المبادئ المتغيرة، ونظرية المجال الكمومي، ومجموعات التناظر المحددة، والفراغ الفقاعي، وجميع مكونات النموذج القياسي لفيزياء الجسيمات، وغير ذلك.

إنه لا يشرح كيف يمكن لهذه الكيانات أن تكون موجودة مسبقًا في الكون، أو لماذا كان يجب أن تكون موجودة علىٰ الإطلاق، أو لماذا كان يجب أن يكون لها الشكل الذي كانت عليه. ولم يقدم أي عملية تجريبية أو رصدية يمكننا بواسطتها اختبار هذه التخمينات الحية لآلية توليد الكون المفترضة.

كيف يمكنك بالفعل اختبار ما كان موجودًا قبل وجود الكون؟ لا يمكنك ذلك. وبالتالي فإن ما يقدمه ليس علمًا مُختبرًا. إنها تكهنات فلسفية، والتي يعتقد علىٰ ما يبدو أنها مقنعة للغاية بحيث لا يضطر إلىٰ إعطاء أي أدلة محددة من

---

(١) جورج فرانسيس راين إيليس (بالإنجليزية: George Francis Rayner Ellis) هو رياضياتي وعالم فلك جنوب أفريقي، ولد في يوم ١١ أغسطس ١٩٣٩ في مدينة جوهانسبرغ في جنوب أفريقيا، درس الرياضيات التطبيقية في جامعة كيب تاون وفي جامعة كامبريدج، وهو من أشهر علماء الكونيات، ألف الهيكل الواسع النطاق للمكان والزمان « The Large Scale Structure of Space-Time» بالاشتراك مع ستيفن هوكينج عام ١٩٧٣، ووصف هوكينج هذا الكتاب بأنه عال المستوىٰ كُتب للمتخصصين فقط. ناشط في طائفة الكويكرز ومدافع عن فكره وجود الله، وسبق أن نال جائزة تمبلتون.

شأنها أن تؤكد أنها صحيحة. حسنًا، لا يمكنك الحصول علىٰ أي دليل حول ما كان موجودًا قبل ظهور الزمان والمكان.

وفوق كل شيء، يعتقد أن هذه التكهنات القائمة علىٰ الرياضيات تحل ألغازًا فلسفية عمرها ألف عام، دون الخوض بجدية في تلك القضايا الفلسفية. إن الاعتقاد بأن الواقع يمكن فهمه بالكامل عبر الفيزياء ومعادلات الفيزياء هو خيال. كما أشار آرثر إدينجتون جيدًا في محاضراته في جيفورد، فهي تمثيلات جزئية وغير كاملة للواقع المادي والبيولوجي والنفسي والاجتماعي. وفوق كل شيء، لا يتطرق كراوس إلىٰ سبب وجود قوانين الفيزياء، أو أي نوع من المظاهر التي كانت موجودة قبل وجود الكون (والتي يجب أن يؤمن بها إذا كان يعتقد أنها جلبت الكون إلىٰ الوجود).

مَن أو ما الذي أوجد ذلك كله؟ لم يبدأ حتىٰ في الإجابة علىٰ هذه الأسئلة. إنه لَأمر مثير للسخرية عندما يقول كراوس: إن الفلسفة هراء، ثم ينخرط هو نفسه في هذا النوع من المحاولات الفلسفية الفاشلة!» انتهىٰ.

قلت: ويذكر الكاتب في نفس المقال في مجلة Scientific American أنه عندما ذكر هذا الانتقاد من قبل (إيليس) لكراوس رد عليه مباشرةً قائلًا: إن (إيليس) هذا مجرد (لاهوتي)! أي لا وزن لكلامه بالنسبة لكراوس كونه مؤمنًا بإله بغض النظر عن علمه، في حين أن جورج إيليس فيزيائي مخضرم، وقد

شارك بالكتابة التخصصية مع ستيفن هوكينج(١) الملحد الذي يمجده الملاحدة الجدد، وقد شارك في عدد كبير من الكتب والأبحاث العلمية.

بل وحتىٰ قد ذكر كاتب المقال أثناء حديثه مع كراوس عن كتابه أنه سأله عن طرحه في الكتاب، فقال له بأنه ليس بطرح متماسك يُمكن اختباره، ففي علم الكونيات لم يحدث أي طفرة حقيقية من أي أطروحة قدمت منذ اكتشاف التمدد الكوني، وذكر الكاتب أطروحات كراوس واطروحات هوكينج (يعني فيما يخص الأكوان الموازية)، فما كان من كراوس إلا أن رد عليه بأنه لم يقم بطرح ذلك علىٰ أنه طرح علمي جاد!

ولم تكن بالطبع هذه المقالة هي الوحيدة التي تم انتقاد كتاب كراوس فيها، فقبل ذلك المقال المذكور نُشر مقال آخر في نفس المجلة في هذا الصدد أيضًا(٢).

وفي هذا نُبذة بسيطة عن الثقل العلمي لريتشارد داوكنز، ولورانس كراوس وغيرهم من (علماء) حركة الإلحاد الجديد، فثقلهم ومكانتهم العلمية ليست

---

(١) هنا يجدر أن نذكر أن ستيفن هوكينج نفسه ليس ببعيد عن النقد، فقد قال مثلًا بأن الفلسفة ماتت، وقد طرح فكرة الأكوان الموازية كطرح بديل للخلق الذكي، لكن كتاب جورج إيليس معه كان عام ١٩٧٣م، أي: قبل كتابات هوكنج المعروفة بسنين طويلة.

(٢) رابط المقال:

https://blogs.scientificamerican.com/cross-check/science-will-never-explain-why-theres-something-rather-than-nothing

أبدًا كما يظن العمري الذي يتخذ موقف الملحد الشعبوي في هذا الإطار مجددًا.

آراء الفلاسفة في ريتشارد داوكنز

أما عن الكاهن الأكبر للإلحاد الجديد داوكنز، فيقول الفيلسوف الأمريكي «ألفين بلانتينجا»(١) -الذي يُعتبر أهم فيلسوف متخصص في فلسفة الدين في المجتمع الأكاديمي حاليًا- عن كتابه «وهم الإله»: إنه «لا يحتوي إلا علىٰ القليل من العلم، لا يحتوي الكتاب إلا علىٰ اتهامات لآثار الدين المجتمعية، وهو كتاب في الأساس فلسفي بالرغم من أن داوكنز ليس فيلسوفًا، ومع وضع هذا في الاعتبار، فإن كثيرًا مما يطرحه من الفلسفة ضحل في أحسن الأحوال، يمكنك القول أن أفكاره وحججه في أحسن أحوالها في مستوىٰ طالب جامعي مبتدِئ، ولكن هذا ليس عادلًا، ففي الحقيقة حججه كانت لتحصل علىٰ درجة راسب»(٢).

أما (توماس نيجل) الذي يعتبر من أعلام الفلاسفة الملحدين في أمريكا، والذي قد قال صراحةً: إنه لا يؤمن بالله، ليس لعدم وجود البراهين عليه، وإنما

---

(١) ألفين كارل بلانتينغا (بالإنجليزية: Alvin Plantinga) ولد في ١٥ نوفمبر ١٩٣٢. هو فيلسوف تحليلي أمريكي، وأستاذ فخري للفلسفة في جامعة نوتردام.

(٢) رابط لقراءة مراجعة ألفين بلانتينجا علىٰ كتاب داوكنز بالإنجليزية:

http://www.biblicalcatholic.com/apologetics/DawkinsGodDelusionPlantingaReview.pdf

لأنه لا يريد أن يؤمن بالله، قد قال عن كتاب داوكنز «وهم الإله» أنه «عبارة عن نقد ساخر غير مستقيم للدين، فلسفة هواة، وقصص رعب تاريخية ومعاصرة، تخمينات أنثروبولوجية. يريد داوكنز أن يثني المؤمنين ويشجع الملاحدة»(١).

وحتىٰ أشد الملاحدة تطرفًا مثل الفيلسوف الدارويني الملحد المتطرف (مايكل روس) المتخصص في فلسفة العلم يقول: «إن داوكنز وقِح في جهله بالفلسفة وعلم اللاهوت وتاريخ العلم أيضًا»، ويقول أيضًا: «إن داوكنز سيفشل في أي مساق يُدَرِّس مقدمة في علم الفلسفة أو في الدين، وأن كتابه «وهم الإله» يجعله يشعر بالعار أنه ملحد، إن داوكنز بفخر ينتقد ما لا يعرف عنه شيئًا».

ويقول في هذا النطاق دكتور سامي عامري: إن كل من قرأ شيئًا في فلسفة العلم أو الدين، لِمُتبعي المذهب الألوهي أو الملاحدة، فإنه حتمًا سيدرك أن داوكنز لم يقرأ في حياته شيئًا عن الدين ولا فلسفته، وذلك بالرغم من أن كتابه «وهم الإله» كله في فلسفة الدين.

الملاحدة المتقدمون وبحثهم عن الحق وإيمانهم بالخالق، آينشتاين مثالًا

حقيقةً لا نستطيع لوم السواد الأعظم من علماء الغرب (المعتبرين) لإلحادهم، فلا أعتقد أنه يوجد باحث عاقل كفاينمان وآينشتاين (وكلاهما من أصل يهودي) أن يؤمنا باليهودية التي تنص علىٰ أن الرب يلهو ويلعب مع

---

(1) T. Nagel, Secular Philosophy and the Religious Temperament; cp. 2010, p. 19.

الحيتان وينام ويندم ويخلف وعده، فآينشتاين مثلًا آثر أن يؤمن بخالق صانع ذكي علىٰ أن يؤمن باليهودية، وفي ذلك قصة مذكورة في كتاب «آينشتاين: حياته وعالمه» للكاتب (والتر ايزاكسون)، وهو كتاب ضخم يقع في أكثر من ٧٠٠ صفحة يروي كل شيء عن حياة آينشتاين، وقد خصص الكاتب فصلًا سماه «إله آينشتاين»، وبدأ بسرد قصة إظهار آينشتاين إيمانه بخالق، **فقال:**

«ذات مساء في برلين دُعي آينشتاين وزوجته إلىٰ حفل عشاء عبَّر فيه أحد الضيوف عن إيمانه بالتنجيم، استخف آينشتاين بالفكرة معتبِرًا إياها خرافة صِرفة، ثم تقدم ضيف آخر واستخف بمكانة الدين، وأصر علىٰ أن الإيمان بالله يعتبر هو -أيضًا- خرافة، وعند هذا الحد حاول المضيف أن يسكته عن طريق الإشارة إلىٰ أن آينشتاين يُكِن في نفسه معتقدات دينية.

قال الضيف الشكاك: (هذا مستحيل) والتفت إلىٰ آينشتاين ليسأله إن كان متدينًا بالفعل، رد آينشتاين عليه بهدوء قائلًا: (نعم، يمكنك أن تقول هذا، حاول أن تخترق أسرار الطبيعة بوسائلنا المحدودة وسوف تجد أنه يوجد فوق نطاق كل القوانين والعلاقات التي ندركها شيء غامض لا يُدرك ولا يمكن تفسيره، وإن ديانتي هي تعظيم تلك القوة الموجودة فوق نطاق أي شيء يمكننا فهمه، وبهذا أكون متدينًا بالفعل)» (١) انتهىٰ.

---

(١) «آينشتاين: حياته وعالمه»، والتر إيزاكسون، دار كلمة، أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٠م، (ص٣٩٣).

واستمر الكاتب بعد ذلك ليصف لنا المزيد عن إله آينشتاين فيقول: «كشف آينشتاين عن إيمان عميق باتساق الكون وانتظامه... وكتب عام ١٩٢٩م يقول: (إن أعظم ما يرضي الشخص العلمي هو التوصل إلىٰ أن قدرة الله نفسه علىٰ تنظيم هذه العلاقات بطريقة أخرىٰ غير تلك الموجودة عليها لا تزيد علىٰ قدرته في أن يجعل الرقم أربعة رقمًا أوليًّا)... رأىٰ آينشتاين أن الإيمان بوجود شيء ذي صفات أعظم منه هو شخصيًّا يعتبر مسألة حاسمة... وبعد فترة وجيزة من عيد ميلاده الخمسين أجرىٰ آينشتاين مقابلة رائعة كشف فيه عن تفكيره الديني علىٰ نحو يفوق بكثير ما كشف عنه من قبل...

المقدم: هل تقبل بفكرة الوجود التاريخي للمسيح؟

آينشتاين: أقبلها بلا شك...

المقدم: هل تؤمن بالله؟

آينشتاين: لست ملحدًا، فالمسألة المطروحة أكبر من أن تستوعبها عقولنا المحدودة؛ نحن نقف موقف الطفل الصغير الذي يدخل مكتبة ضخمة مملوءة بكتب مكتوبة بلغات عديدة، يعرف الطفل أنه لا بد من أن شخصًا ما كتب هذه الكتب، ولكنه لا يعرف كيف، فهو لا يعرف اللغات التي كتبت بها هذه الكتب. ويساور الطفلَ قدر ضئيل من الشك في أن هناك نظامًا غامضًا اسْتُخدم في ترتيب الكتب، إلا أنه يجهل هذا النظام. وحسبما يتراءىٰ لي، هذا هو موقف البشر من الله، فنحن نرىٰ الكون منظمًا علىٰ نحو يثير الدهشة، ويخضع لقوانين معينة، لكننا لا نفهم هذه القوانين إلا بقدر ضئيل» انتهىٰ.

ويستمر الكاتب (والتر) في وصف غضب آينشتاين باستشهاد الملاحدة به كونه ملحدًا فيقول: «كان آينشتاين طوال حياته ثابتًا علىٰ موقفه في رفض رميه بتهمة الإلحاد، وقال لصديقه: (هناك أشخاص يقولون بعدم وجود الله، علىٰ أن ما يغضبني كثيرًا أنهم يستشهدون بي لدعم موقفهم هذا)» انتهىٰ.

بالطبع كان آينشتاين متخبطًا في هذا الصدد، كونه لا يستطيع الإيمان برب اليهود كما هو، ولا الإيمان برب النصارىٰ كما هو، وقد أعجبته فكرة وحدة الوجود الخاصة بإسبينوزا، ولكن الشاهد هنا أنه شتَّان بين أمثال آينشتاين وأمثال الملاحدة الجدد.

يستمر العمري في (ص١٤٣) **فيقول:** «كما أن «الفلسفة» وعامة العلوم الإنسانية التي تخصص بها هؤلاء لا تملك تأثيرَ وإبهارَ «العلم التجريبي» علىٰ هذه الجماهير» انتهىٰ.

قلت: مجددًا يظن الكاتب أن الفلسفة شيء، والعلم التجريبي شيء آخر، وكأن العلم التجريبي لا فلسفة فيه، فلو كان لا فلسفة فيه لما كان فيه بحث ولا فيه عقل، ولكنه مجددًا يتخذ الموقف الشعبوي لعامة الملاحدة الجدد من الفلسفة.

ثم يستمر العمري في الترويج لريتشارد داوكنز بحماس غريب **فيقول:** «أصدر ريتشارد داوكنز قرابة عشرين كتابًا منذ منتصف السبعينيات، وحقق أشهرها -«وهم الإله» (The God Delusion) صدر عام ٢٠٠٦- أرقام مبيعات عالية تجاوزت الـ٣ ملايين للنسخة الإنجليزية وحدها، كما ترجم إلىٰ ٣٥ لغة.

أسلوب داوكنز في الكتابة سلس ومفهوم رغم تطرقه إلىٰ موضوعات تعتبر «متخصصة» في علم الأحياء، وساهم هذا في تقريبه هو وأفكاره إلىٰ الجماهير الواسعة، كما أن حضوره الشخصي وطلته «الإعلامية» زادَا من تأثيره علىٰ الملايين من المتابعين الذين تحول داوكنز بالنسبة إليهم إلىٰ أيقونة عصرية تبشر بإلحاد مبني علىٰ نظرية التطور بحماس وشغف يشبه حماس وشغف دعاة الدين والوعاظ» انتهىٰ.

قلت: نلاحظ ثناءه علىٰ أسلوب ريتشارد داوكنز كونه يتطرق إلىٰ موضوعات (متخصصة) دقيقة في علم الأحياء، وذلك حتىٰ في كتابه «وهم الإله»، أي أنه يخبر القارئ العاقل أن ريتشارد داوكنز قادر علىٰ تثقيفه هو شخصيًّا في موضوعات متخصصة بأسلوب سهل وسلس ليثبت له أن الله وهْم والعياذ بالله!

جهله بالحجج المنطقية ورفضه البرهنة على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

ثم يستعرض بعد ذلك العمري في (ص١٤٧) مفهوم ريتشارد داوكنز عن الإيمان، ويقول بأنه قد عرفه بأنه الثقة العمياء رغم غياب الدليل، ويرد علىٰ ذلك بالتفريق بين الدليل والبرهان، ثم **يقول:** «المؤمنون عادة لديهم «أدلتهم» علىٰ إيمانهم، أدلة suggestive تشير لهم وتقودهم إلىٰ التصديق والإيمان، ربما الأمر لا يتحول ليكون «حجة» أو «برهانًا» conclusive - أي: دليل قطعي ونهائي بالمعنىٰ العلمي المادي للكلمة، لكن بالنسبة إلىٰ المؤمنين هي كافية جدًّا» انتهىٰ.

قلت: يستمر العمري في التأكيد علىٰ أن الإيمان بالله لا يُمكن إثباته بالبرهان القاطع، وإنما فقط بأدلة (اقتراحية)، وهذا فيه دعوة واضحة لضعفاء العقل للإلحاد، فإن كان الله لا يُمكن البرهنة علىٰ وجوده، فلماذا أؤمن به إن كان ذلك سيقترن بالكثير من التكليفات من عبادات وجهاد؟!

البرهان بشكل عام هو أعلىٰ درجات الحجج، وهو ما يفيد اليقين، وسنفصل في ذلك لاحقًا.

ومجددًا، من أين أتىٰ الكاتب بهذا التعريف عن الإيمان؟ هل بحث وناقش تعريف الإيمان وقطعيته عند الأئمة؟ أم هو رأي شخصي؟ وما هو أصلًا ذلك المعنىٰ العلمي المادي للدليل؟! كل هذه أمور تظل لا تعريف لها عند المفكر الإسلامي، وإنما ما أُراه إلا نثرًا من جاهل يريد أن يظهر بشكل منمق ومثقف أمام غيره.

الإيمان بشكل عام لا بد له من التعقُّل، وقد تجنَّىٰ علىٰ الدين من قال بأن الله لا يُمكن إثباته بشكل قطعي، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقد وصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه الكريم (علىٰ اجتهاد بعض المفسرين) بأنه برهان إليهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، فهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقصد بالبرهان هنا أنه حجة غير قطعية مثلًا؟!

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم

بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء: ١٧٤] يعني محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ عن الثوري؛ وسماه برهانًا لأن معه البرهان وهو المعجزة. وقال مجاهد: البرهان هاهنا الحجة؛ والمعنىٰ متقارب؛ فإن المعجزات حجته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

والنور المنزل هو القرآن؛ عن الحسن؛ وسماه نورًا لأن به تتبين الأحكام ويهتدىٰ به من الضلالة، فهو نور مبين، أي: واضح بيِّن» انتهىٰ.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم في ذاته معجزة الإسلام البرهانية المستمرة ليومنا هذا، وفي هذا مباحث عظيمة ألفت فيها موسوعات، ومن أفضل الكتب المعاصرة التي تناولت الإعجاز القرآني كتاب «النبأ العظيم» للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز، وقد تناول فيه الإعجاز القرآني بشكل بسيط علىٰ نفس المنهج الذي كان عليه الأوائل كعبد القاهر الجرجاني وغيره، ولم يختزل الإعجاز القرآني في الإعجاز العلمي المتبادر للذهن عند عوام المسلمين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير الآية: «يقول تعالىٰ مخاطبًا جميع الناس ومخبرًا بأنه قد جاءهم منه **برهان عظيم**، وهو **الدليل القاطع للعذر**، والحجة المزيلة للشبهة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤] أي: ضياء واضحًا علىٰ الحق، قال ابن جريج وغيره: وهو القرآن» انتهىٰ.

وهذا من المعروف أنه عدل من الله ورحمة، فهل من العدل ألا ينزل الله للبشر برهانًا قاطعًا علىٰ وجوده إن كان يترتب علىٰ ذلك عقابًا أبديًّا؟ فلو كان كذلك لَما استحق الكفار الخلود في جهنم، وإنما سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لوجوده براهين قاطعة؛ لئلَّا يكون علىٰ الناس حجة. وقد قال الكفار في جهنم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ

﴿أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [المُلك: ١٠-١١].

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»: «يمتن تعالىٰ علىٰ سائر الناس بما أوصل إليهم من **البراهين القاطعة** والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم **الحجة**، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤] أي: حجج قاطعة علىٰ الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل **الأدلة العقلية والنقلية**، الآيات الأفقية والنفسية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

وفي قوله: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤] ما يدل علىٰ شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلىٰ الصراط المستقيم، والوصول إلىٰ جنات النعيم.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤] وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل علىٰ علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره» انتهىٰ.

وتتكرر دعوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للكفار إلىٰ التفكُّر في خلق الله وتعقُّل حقيقة وجوده واستحقاقه للعبودية وحده، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي

أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٠- ٢٣]، ونلاحظ هنا تأكيده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ علىٰ أنه قد جعل لنا في الأرض آيات للتيقن من وجوده وألوهيته فقال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠].

قال في تفسير الآية القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠] لمَّا ذكر أمر الفريقين بيَّن أن في الأرض علامات تدل علىٰ قدرته علىٰ البعث والنشور؛ فمنها عَود النبات بعد أن صار هشيمًا، ومنها أنه قدَّر الأقوات فيها قِوامًا للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذبة. والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم، وصدق نبوة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها» انتهىٰ.

ويقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «يقول -تعالىٰ ذِكره-: وفي الأرض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها» انتهىٰ.

وقال الشوكاني في تفسير «فتح القدير»: «فقال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠] أي: دلائل واضحة، وعلامات ظاهرة... وخص الموقنين بالله لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به» انتهىٰ.

بل وإن العلوم الفطرية وحدها لَبرهانٌ أصلًا علىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وقد صنَّف العلماء الحجج المنطقية إلىٰ خمس مراتب:

١- **الحجة البرهانية:** وهي التي تفيد اليقين، إما بالاستدلال المباشر، وإما

بالقياس الصحيح، وفي نطاق ذلك تُستخدم العلوم الفطرية الضرورية، مثل أن الجزء أصغر من الكل.

٢- **الحجة الجدلية**: وهي حجة تتكون من مقدمات سليمة، وهي تفيد اليقين عند المتحدث، وتفيد الظن الراجح عند محدثه.

٣- **الحجة الخطابية**: وهي حجج تفيد الظن الراجح عند المتحدث ومحدثه.

٤- **الحجة الشعرية**: وهي الحجج التي لا تفيد ظنًّا راجحًا، ولكن يستقبلها العوام بدافع من المشاعر، مثل الخطب السياسية المنمقة.

٥- **الحجة الباطلة**: وهي الحجج التي قامت علىٰ مقدمات خاطئة وتعتمد علىٰ الخطأ.

أي أن الحجة البرهانية والتي تفيد اليقين هي أعلىٰ الرتب، وهي تفيد اليقين قطعًا عند كافة الأطراف، وقد أصاب العمري بقوله بأن البرهان أقوىٰ من غيره، ولكن يظهر لنا من هذا التصنيف في علم المنطق أن العمري قد اخترع لنا مصطلحين متساويين عنده، وهما (الحجة) و(البرهان)، ومن المعلوم أن الحجة ليست بالضرورة برهانًا؛ لأن كل برهان حجة، وليس كل حجة برهانًا.

والإنسان مفطور علىٰ الحجج البرهانية علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتأييدًا لهذا الأصل يقول الفيلسوف (ألفين بلاتنجا): إن البرهنة علىٰ وجود الله ليست مهمة؛ لأنه اعتقاد أساسي، مثل أن (واحد زائد واحد يساوي اثنان).

دليل الفطرة كحجة برهانية على الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

ومن المعلوم -أيضًا- في معظم المتون العقدية عند أهل السنة والجماعة أن أول دليل يُدَرَّس علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو دليل الفطرة، وهو برهان عقلي، ولو كان العمري متسقًا لأنكر الفطرة كونَ البرهان لا وجود له في إثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برأيه.

وقد اتفق المسلمون علىٰ أن الإقرار بوجود الله هو أصل من أصول العقيدة، واختلفوا فيما كان ذلك العلم حاضرًا في النفس ابتداءً، أو يعوزه النظر والاستدلال، والوحي المنقول عن السلف وطبيعة النفس البشرية تصحح القول بفطرية معرفة الخالق(١).

لكن نتنبه هنا إلىٰ اختلاف السلف -أيضًا- في مفهوم الفطرة ما إن كانت معرفة حاضرة في النفس قبل الولادة (أي معرفة قبلية)، أو ما إن كانت القدرة علىٰ الإيمان بالله الواحد متىٰ توفرت الشروط، كأن تكون قوة مودعة في النفس تنجذب إلىٰ الحق عند تعقُّله دون أن يكون الحق نفسه مودعًا في النفس مِن قبل، وهو الرأي الأصح علىٰ الأرجح، وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)؛ وذلك لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا في كتابه الكريم في سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

---

(١) «دلائل أصول الإسلام»، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، (ص٦٠).

(٢) راجع كتاب: « موقف ابن تيمية من المعرفة القبلية» ليوسف سمرين.

لكن في الحالتين يتفق المسلمون علىٰ وجود الفطرة بالنقل والمشاهدات لطبيعة النفس البشرية، ومن الدلائل النقلية علىٰ وجود الفطرة قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الروم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وغير ذلك مما ورد من أحاديث متفق عليها، ومن ذلك حديث «صحيح مسلم» أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ ذَاتَ يَوم في خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، ممَّا عَلَّمَنِي يَومِي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا**».

البديهيات العقلية الضرورية مثالًا على دليل الفطرة

ومن مستويات الاستدلال علىٰ الفطرة هو الاستدلال بالمبادئ العقلية الضرورية، مثل قانون السببية، ومثِل أن الجزء أقل من الكل، ومثل أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، فلو سألت سائلًا: كيف نثبت أن الجزء أقل من الكل؟ لكان الأمر بالغ الصعوبة، فهي علىٰ الأرجح علوم لا نستطيع إثباتها، فهي الأصل الذي يرجع إليه كل العلوم، وهو أمر مُلغز لو تفكَّرنا.

أعني أنه لو سألتَ سائلًا: لماذا الجزء أقل من الكل؟ لقال: إننا نرىٰ ذلك في الواقع الخارجي، كأن يكون نصف رغيف الخبز أقل من الرغيف كاملًا، ولو

سألته: إذًا فلماذا ترىٰ أن نصف رغيف الخبز أقل من الرغيف كاملًا؟ لقال: لأن الجزء أقل من الكل، وهذا دور قَبْلي ممتنع.

ولبيان الدور القبلي الممتنع يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفاعل يجب أن تتقدم المعلول والمسبب والمفعول، فإذا كان هذا علة ذاك، وجب أن يكون هذا قبله، وإذا كان ذاك علة هذا وجب أن يكون ذاك قبله، فيجب أن يكون هذا قبل ذاك، وذاك قبل هذا، وهو ممتنع، إذ هذا إذا كان قبل ذاك، وذاك قبله، كان ذاك قبلَ قبلِ نفسِه، وهو لو كان قبل نفسه كان ممتنعًا، لالتزامه اجتماع النقيضين، إذ هو قبل نفسه معدوم، فإذا كان قبلها كان معدومًا موجودًا، فيلزم هنا اجتماعهما مرتين»(١) انتهىٰ.

والبعض يرجع البديهيات العقلية إلىٰ كونها استنباط عقلي من المشاهدة الحسية، وليس بخفي أنه في واقع الأمر موضع إشكال، ولا أعلم الصحيح قطعيًّا من الأقوال في تلك المسألة، لكنه مع ذلك لا ينفي حقيقة تلك القوانين الفطرية وإن اختلف العلماء في مصدريتها، وهي حقيقة ينكرها عدد من التجريبيين الذين يقولون بمصدرية الحس فقط للمعرفة دونًا عن العقل، وبهذا يخرجون من مأزق البرهان الفطري علىٰ وجود الله الذي هيأ تلك المعرفة التي ترجع إليها كل المعارف.

فالمعرفة الفطرية الضرورية هي بذلك برهان علىٰ الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

---

(١) كتاب «جامع المسائل لابن تيمية» ط: عالم الفوائد، (ج١/ ص ٨٨).

وهو مأزق بالنسبة للملاحدة الجدد، فخرجوا منه بإنكارهم للمعارف الفطرية الضرورية، وهو مأزق في ذاته أيضًا، كون إنكار السببية والمعارف الفطرية الضرورية الأخرىٰ يوجب الشك في العقل، والشك في استنتاجاته، بحيث - مثلًا- لو كُسر كوب علىٰ مكتب ريتشارد داوكنز لما كان ذلك بالضرورة بفعل فاعل، كونَه ينكر حتمية السببية؛ ولذلك -أيضًا- يقع الملاحدة في مأزق اجتماع النقيضين، فلو سألته: هل هذا الجسم ساكن؟ ثم قال: نعم، فتستطيع إجابته بأنه إذًا متحرك؛ لأن إنكار المبادئ العقلية الضرورية يفضي إلىٰ ذلك حتمًا.

ومن ذلك -أيضًا-: إن سألتَ أحد هؤلاء الملاحدة عما إن كان يؤمن بالمبادئ العقلية الضرورية أم لا؟ فإن قال: لا، فهو يؤمن بها؛ لأنه إن قال: لا، فإن مبدأ عدم اجتماع النقيضين يرتفع، وبالتالي فإنه لا يؤمن بالشيء ويؤمن به في نفس الوقت، وبالتالي فهو لا يؤمن بالمبادئ العقلية الضرورية، ويؤمن بها -أيضًا- بالضرورة لأنه لا يؤمن بها!

ويستند الملاحدة الجدد إلىٰ إنكار المعارف الفطرية الضرورية علىٰ فيزياء الكم، وما هو إلا جهل منهم بفيزياء الكم أصلًا، ففيزياء الكم لا تُنكِر حتمية السببية ولا المعارف الضرورية، ولا سبيل لنقاش هذا هنا، لكنني أحيل إلىٰ حوار قد استفاض فيه الفيزيائي الدكتور باسل الطائي مع دكتور محمد العوضي حول ميكانيكا الكم والمبادئ العقلية الضرورية، وقد أوضح اللبس

والأفكار الخاطئة المنتشرة عن النظرية عند العامة[١]. ثم أزعم فأقول: إن من فهم ميكانيكا الكم حقيقةً لأيقن وفهِم آيات الربوبية في القرآن الكريم.

إذن، فإن دليل الفطرة هو بلا شك برهان يقيني، وإنكاره يوقع الملحد في إشكاليات لا حصر لها، فهو موجود وغير موجود في نفس الوقت، وهو إنسان وبكتيريا في نفس الوقت، وهو ملحد ومؤمن في نفس الوقت، والعالم الخارجي بالنسبة إليه موجود واقعيًّا وغير موجود في نفس الوقت، وإن ضربه أحد، فقد ضُرب ولم يُضرب في نفس الوقت، وقد يُضرب دون أن يضربه أحد. إذن، فإنكار هذا الدليل الفطري (البرهاني) يؤدي ضرورة إلىٰ العدم المحض... والوجود -أيضًا- في نفس الوقت!... أعني السفسطة والجنون... والعقل في نفس الوقت!

وبالرغم من أن البرهان أعلىٰ الحجج مرتبة، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه مقبول من الكل، فقد يقبل الملحد أو غيره حجة جدلية تفيد اليقين عنده وهي غير يقينية في واقع الأمر، وقد يقبل الملحد أو غيره بالحجج الخطابية والتي تفيد الظن الراجح لا اليقين أصلًا، ومع ذلك فالملاحدة الجدد لا يقبلون باليقيني ولا الراجح في الغالب طالما يتعلق الأمر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رابط اللقاء كاملًا:

https://www.youtube.com/watch?v=qdOKn5DKuGE

جهله بحقيقة البرهان الحسي كعوام الملاحدة

وعندما نرجع إلىٰ قول العمري بأن البرهان هو ما هو يقيني مادي يتبيَّن لنا مرة أخرىٰ تهافته في هذا الطرح، ويتبين لنا أنه يتخذ الموقف الشاذ المتطرف من نظرية المعرفة، بل ونظرية الوجود أيضًا، فدليل الفطرة مثلًا لا يعتمد بشكل كلي علىٰ الحس، وحتىٰ لو كانت مدخلاته من الحس فهو مع ذلك عقلي، فلو اعتمد العمري -كغيره من الملاحدة الجدد- الحس كمصدر وحيد للمعرفة لَما كان لكتابه قيمة، ولَما كان لعقله قيمة، ولما كان لأيٍّ من استنتاجاته قيمة، كونَ الحس وحده لا يستطيع تَعَقُّل الموجودات.

أي أن البرهان المادي الذي يطلبه العمري هو تمامًا ما يطلبه الملاحدة الجدد حيث يقولون: إن ما لا يدركه الحس لا برهان علىٰ وجوده، وهي دعوىٰ لا يُمكن بالحس وحده البرهان عليه. مع ذلك فلو كان ذلك الدليل المادي هو مباشرة الخالق بالنظر أو السمع فهو لا يقبله -أيضًا- عوام الملاحدة؛ كونهم يدركون قصور الحس، فتراهم هنا يتقهقرون، فيقول أحدهم بأن النظر سيرجِّح وجود الله لكنه لن يبرهن علىٰ وجوده يقينيًّا؛ لأن الحس قاصر.

إذن، فالحس عندهم (أي: البرهان المادي الذي يطلبه الكاتب) هو المصدر الوحيد للمعرفة والبرهان علىٰ الموجودات الخارجية، ومع ذلك عندما يتعلق الأمر بالله فالحس عندهم قاصر، والعقل والتعقل والمبادئ العقلية الضرورية الفطرية عندهم أصل من أصول البحث التجريبي، ولكن عندما يتعلق الأمر بالله فإنهم يتنكرون لحتمية المبادئ العقلية.

ومع ذلك فإن البرهان الحسي لا يتوقف عند العقلاء عند الرؤية والسماع المباشر فقط. فدليل العناية مثلًا يتمثَّل لنا من خلال الحسابات الرياضية الاحتمالية علىٰ أن عمر الكون لا يستوعب ما في الكون من الدقة والعناية، فلو اختلف قانون فيزيائي من القوانين أو اختلفت قيمة أي ثابت من الثوابت الفيزيائية لَانْهار الكون تمامًا، ومن أفضل الكتب في هذا الصدد كتاب الفيزيائي البريطاني (الملحد) مارتن ريس، والذي كان رئيسًا للجمعية الملكية الفلكية البريطانية، وهو كتاب يقع في ٢٠٠ صفحة تقريبًا، واسمه «فقط ٦ أرقام»، وهو مترجم للعربية.

وقد نختلف هنا في كون دليل العناية حجة برهانية أو لا، ولكن لو اتسقت فلسفة الملاحدة الجدد في التعامل مع نظريات الكوسمولوجيا مع تعاملهم مع الحجج العقلية لوجود الله لكان ظنهم الراجح علىٰ أقل تقدير أن وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الحقيقة الراجحة، ولكنهم سيقبلون بدلًا من ذلك بفرضية الأكوان الموازية اللانهائية رغم عدم وجود دليل حسي رصدي واحد عليها، فهم يأملون ويؤمنون بوجود احتمالية مستقبلية لترجيحها بنسبة ما، أما تضافر الأدلة العقلية والحسية اليقينية والراجحة علىٰ وجود الله لا يُقبل من قبلهم.

وموقف العمري من الإيمان هنا ينطبق عليه قول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن كثيرًا من الناس لا يُميِّز بين ما ينفيه لقيام الدليل علىٰ نفيه وبين ما يثبته لعدم دليل إثباته؛ بل تراهم ينفون ما لم يعلموا إثباته، فيكونون قد قَفَوْا ما ليس لهم به

علم، وقالوا بأفواههم ما ليس لهم به علم»(١) انتهىٰ.

قلت: فهنا نفىٰ العمري وجود حجج برهانية قطعية علىٰ الإيمان بالله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كونَه لم يعلم إثبات وجود مثل تلك الحجج، فقال ما ليس له به علم.

وأقول مجددًا: إن هدف الكتاب بشكل أساسي ليس نقد الداروينية، ولا نقد شبهات الملاحدة الجدد، وإنما أهدف بشكل أساسي إلىٰ بيان تهافت حججهم ومنهجهم، وبيان جهلهم وتناقضاتهم.

دفاعه عن الداروينية أكثر من داوكنز نفسه

ثم يستمر العمري بكتابة نقد بسيط علىٰ استحياء لداوكنز في (ص١٥٠) **فيقول:** «بل إن داوكنز يمضي إلىٰ ما هو أكثر من هذا، إذ يقول: إنه «لا يتخيل كونه ملحدًا قبل عام ١٨٥٩ - السنة التي أصدر فيها داروين كتابه أصل الأنواع»، أي: إنه يقول: إن كل تراث الفلسفة الإلحادية قبل داروين لم يكن مقنعًا، ولم يعد له لزوم بعد داروين، وعندما يذكر أن صديقًا له سأله: حتىٰ هيوم؟ أجابه داوكنز: حتىٰ هيوم، لأن هيوم لم يقدم تفسيرًا لتعقيد الطبيعة، بل قدم نقدًا لمنطق استخدام تعقيدها ليكون دليلًا علىٰ خالق، لكنه لم يقدم بديلًا. وهكذا، حسب داوكنز، كل إلحاد قبل داروين -الذي لم يلحد!- كان لا داعي له» انتهىٰ.

---

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، (٤/ ٢٩٦).

قلت: هنا داوكنز محق، والعمري مخطئ، فإن الداروينية بالفعل تقدم للملاحدة الجدد العقيدة التي احتاجوا إليها لتفسير بدء الخلق، فهنا داوكنز يتسق مع الداروينية كونها عقيدة استبدلت الدين عنده، وهو ما ينتقده العمري هنا، فيصمم العمري علىٰ أن الداروينية لا دخل لها بمبحث بدء الخلق ولا هي استبدال للدين.

ثم يكذب العمري مجددًا فيقول بأن داروين نفسه لم يُلحد، وهذا جهل، فمن المعروف أنه لم يُلحد بسبب نظريته، ولكنه مع ذلك قد ألحد بعد وفاة ابنته، وقد كان قبل وفاة ابنته ربوبيًّا، وبعد وفاتها خَفَتَ إيمانه بالخالق.

الداروينية كداعم للربوبية

وهنا يجدر بنا إيضاح أن مصطلح (ملحد) لا يعني بالضرورة من ينكر وجود الله، وإنما كل من حاد عن الحق فهو مُلحد، فالربوبي مُلحد، واللاأدري ملحد، وهكذا.

أما الربوبيون فيؤمنون بأنه يوجد إله خالق ذو صفات ما، خلق الكون وتركه لقوانينه ولم يتدخل فيه أبدًا، أي أن الداروينية هي التفسير المنطقي لبدء الخلق في المذهب الربوبي، ولإيضاح مفهوم «الربوبية» يقول دكتور سامي عامري: «يقوم المذهب الربوبي علىٰ أصل الإيمان بخالق متصوَّر لهذا الكون، نَظَّم عمل الكون بقوانين آلية مستغنية عن التوجيه والتعديل؛ كحال الساعة التي يصنعها صاحبها، ثم يتركها إلىٰ نظام عملها الذاتي.

والكون عند الربوبي هو المصدر الوحيد لمعرفة الله وصفاته؛ ولذلك

فالربوبي يستغني عن الوحي الخاص بالكون والعقل... فالربوبيون ينكرون الوحي ويعارضون الأديان، ويرون أن الخالق لم يتواصل مع البشر، وما دعاوىٰ الوحي إلىٰ فِرىٰ بشرية قُصد بها خداع الناس»(١) انتهىٰ.

قلت: إذن نرىٰ الاتساق الكبير بين المذهب الربوبي ونظرية داروين، فإنه لم يلحد بالمعنىٰ العصري للكلمة كما أورد العمري، ولكن كان يجدر به أن يصدق القول فيذكر أن داروين كان ربوبيًّا وليس نصرانيًّا متدينًا كما يزعم، فلا يُعقل وجود نصراني متدين يعمل علىٰ تكوين مثل تلك النظرية التي تعارض عقيدة بدء الخلق في شريعته ثم يظل نصرانيًّا بعدها، وإنما كانت نظرية داروين لكون داروين نفسه ربوبيًّا.

انتقاده لكتب التراث لاستخدامها الفلسفة بدلًا من لوم الملاحدة

وفي (ص١٥١) يشرح العمري ظاهرة نقد الإلحاد الجديد بفكرة غريبة **فيقول:** «والحقيقة أن انفصال الإلحاد الجديد عن التراث الفلسفي الوضعي يعد ظاهرة واضحة جدًّا في موجة الإلحاد الجديدة التي انتشرت في البلدان العربية عقب ٢٠١١، وهو ما سبب إرباكًا في طرق الرد علىٰ الملحدين، لأن أغلب الردود السابقة كانت تستند إلىٰ التفاعل مع نقاش فلسفي غالبًا، وهو أمر نُحِّي

---

(١) سامي عامري، «براهين وجود الله»، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، لندن - المملكة المتحدة، (ص٥٩).

جانبًا في الإلحاد الجديد إلىٰ حد كبير، ما جعل «تراث الردود علىٰ الإلحاد» أقل قدرة علىٰ الرد» انتهىٰ.

قلت: هنا يلوم تراث الردود علىٰ الإلحاد علىٰ انفصال الإلحاد الجديد عن الفلسفة، وذلك بدلًا من انتقاد الإلحاد الجديد نفسه كونه أهمل الفلسفة ومباحثها العقدية، وكون ذلك قد تسبب في وقوع الملاحدة الجدد في عدد كبير من الإشكالات، ففضَّل العمري لوم التراث نفسه.

فلو أتىٰ ملحد يتنكر للمبادئ العقلية الضرورية لَلَام العمري تراث الرد علىٰ الإلحاد كونهم استخدموا المبادئ العقلية الضرورية في نقضه، وذلك بدلًا من الاستنكار علىٰ هذا الملحد علىٰ تنكره للمبادئ العقلية الضرورية!

وعلىٰ النقيض من هذا الموقف يبرز لنا موقف ابن تيمية مع باقي علماء الدين في فكرته عن الفلسفة، فقد أدرك شيخ الإسلام الأهمية الكبيرة للفلسفة وتذمَّر من إهمال عدد من أهل الحديث لها، فمثلًا قال ابن الصلاح: «الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة»(١) انتهىٰ.

لكن ابن تيمية مع ذلك أدرك أهمية الفلسفة في الرد علىٰ الملاحدة بكافة أطيافهم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما نفي الفلسفة كلها أو إثباتها فلا يُمكن، إذ ليس

---

(١) ابن الصلاح، «فتاوىٰ ومسائل ابن الصلاح»، ومعه «آداب المفتي والمستفتي»، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (ج١/ ص٢٠٨ - ٢٠٩).

للفلاسفة مذهب معين ينصرونه، ولا قول يتفقون عليه في الإلهيات والمعاد والنبوات ولا في الطبيعيات والرياضيات، بل ولا في كثير من المنطق»(١) انتهىٰ.

وقد تعلَّم وتبَّحر ابن تيمية في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام بشكل كبير، وعبْر ذلك أَلَّف موسوعات عظيمة في الرد علىٰ الملاحدة بكافة أطيافهم، فرد علىٰ القدرية والجبرية والشيعة والدهرية والمتكلمين والفلاسفة اليونان، وقد أسس عبر ذلك فلسفة إسلامية خالصة لا تعارض الكتاب والسنة، بل توافقها وتؤكدها في كل مبحث من المباحث، فالفلسفة ليست كما يخبرنا العمري مجرد (علم اجتماعي)، فهذه نظرة شعبوية للأمر، وإنما تعني بمفهومها الواسع المباحث العقلية، فلا جدال علمي دون البحث العقلي، وعليه فلا قدرة للرد علىٰ الملاحدة إلا بالعقل والفلسفة، وفِيمَ -أصلًا- نتجادل مع مَن رد البحث العقلي؟!

فهل يُمكننا أن نتجادل عن طريق الحواس مثلًا؟ فلو قال العمري بأنه هنا يعني الرد العلمي (التجريبي) فقد ناقض نفسه، فهو نفسه لا يعترف بالقياس عن طريق البحث التجريبي علىٰ أمور الإيمان والغيبيات.

إعمال العقل ضرورة لإثبات وجود الله

ومع ذلك فإن التجريبية تُفَعِّل المباحث العقلية بشكل إجباري، ولا بد من ذلك، لكن الملاحدة الجدد يعملون علىٰ تفعيل المباحث العقلية عندما تخدم

---

(١) ابن تيمية، «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، (ج١/ ص٣٥٧).

المباحث أهواءهم فقط، مع أننا نجد الملاحدة الجدد يتفانون في الهجوم علىٰ المتدينين باتهامهم أنهم لا يُفَعِّلون عقولهم، وتجدهم في كل حين (خارج النقاشات العلمية) يمجِّدون العقل بشكل بالغ، ومع ذلك فلا يقبل أحد الملاحدة الجُدد عادةً بدليل الإمكان علىٰ وجود الله بالرغم من أنه دليل عقلي بحت، وأظن صراحةً أن لا أحد منهم يفهمه إن قرأ عنه شيئًا.

دليل الإمكان كبرهان على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

يعمل دليل الإمكان مثلًا علىٰ الموجودات كلها، فإن كل الموجودات مثل البشر ممكنة الوجود غير واجبة، أي أن العمري موجود وكان من الممكن ألا يوجد، والأرض ممكنة الوجود، وكان من الممكن ألا توجد.

وبذلك تنقسم المعقولات إلىٰ واجبة الوجود، وممكنة الوجود، وممتنعة، ومن هذا فإن كل ممكن الوجود لا يستطيع إيجاد نفسه بنفسه؛ لأن ذلك يتطلَّب ضرورةً أن يوجد ممكن الوجود قبل أن يوجَد، وهذا يستحيل؛ إذًا فإن وجود كل ممكن مرهون بعلة ترجح وجوده وعدمه، أما واجب الوجود لا يتوقف وجوده علىٰ وجود علة توجده؛ لاستغنائه عنها، أما ممتنع الوجود فلا يتوقف عدمه علىٰ علَّة لعدمه؛ لأنه في ذاته يستدعي عدم وجوده.

وبالتالي، فإن كل ممكن كما أوردنا مرهون بعلَّة ترجح عدمه أو وجوده؛ لأنه بين هذا وذاك، فهو غير موجود، فلا يُمكن له أن يُوجِد شيئًا، فلا بد من ترجيح الوجود لممكن الوجود من موجود واجب خارجي، فيصبح علة الوجود أمرًا متحققًا في الخارج، وتكفي علَّة عدم ممكن الوجود بعدم العلة،

فمثلًا الإنسان الجاهل يظل جاهلًا لعدم العلَّة التي تنقله من الجهل إلىٰ العلم، أما انتقال الجاهل إلىٰ العلم فهو مرهون بعلة متحققة في الخارج.

أما الأمر الأخير الذي يعتمد عليه دليل الإمكان هو إبطال الدَّوْر القَبْلي وإبطال التسلسل، أما الدَّوْر فهو كأن يكون الشيء موجِد لشيء آخر، وفي نفس الوقت يكون الشيء الآخر موجِدًا للشيء الأول، وهذا مستحيل. أما التسلسل فهو ترتيب علل ممكنة لا نهاية، فيتوقف (أ) علىٰ (ب)، و(ب) علىٰ (ج)، و(ج) علىٰ (د)، وهكذا إلىٰ ما لا نهاية، وهذا ممتنع، فيلزم وجود علة خارج هذا التسلسل لإبطاله.

وبالتالي، فإن تلخيص الدليل وتمثيله علىٰ الكون كالتالي:

هذا العالَم موجود، فإما أن يكون ممكنًا أو واجبًا، لكن العالَم ممكن الوجود، ومن طرق الاستدلال علىٰ ذلك أن العالم مكون من أجسام، وهذه الأجسام متعددة، وهذه الأجسام موجودة، فإما أن تكون واجبة أو ممكنة، ولا يجوز أن تكون واجبة لأن واجب الوجود لا يتعدد، فتعين أنها ممكنة، ومع ذلك فإن إمكان العالم بدهية عقلية لا تحتاج إلىٰ البرهنة، والممكن لا بد له من علة كما وضحنا، ويمتنع الدور والتسلسل، فيتعين انتهاؤها إلىٰ واجب بذاته وهذا هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي دليل الإمكان طرق مشابهة لإثبات إمكان العالم، مثل الاستدلال بتغير حالات العالم وانعدام حالاته الأولىٰ وغير ذلك، ولكننا نؤكد أن إمكان العالم في أصله أمر فطري.

ومع أن دليل الإمكان من أقوىٰ الحجج العقلية اليقينية، لكنه مع ذلك عقلي بحت، وتجريدي إلىٰ حد كبير، ويصعب علىٰ البعض فهمه، ومع ذلك فإن دليل الإمكان ليس الدليل العقلي الوحيد، فهو نموذج واحد من نماذج متعددة.

ثم بعيدًا عن البراهين العقلية المباشرة، فلا يُتصور أن يتناقش مؤمن وملحد دون اتفاق فلسفي أوَّلي، وذلك علىٰ الأقل في نظرية المعرفة ونظرية الوجود، فلو تبنىٰ الملحد مدرسة الشك المذهبي في نظرية المعرفة مثلًا، فلا حاجة لمحاورته والجدال معه، فهو يبدأ من الشك وسينتهي إلىٰ الشك، أي أنه سفسطائي، فأي نقاش يُمكن أن يدور علىٰ هذا الأساس؟! ولو تبنىٰ الملحد مثلًا المدرسة المثالية من نظرية الوجود لما كان النقاش معه والرد عليه ممكنًا أصلًا، فالمدرسة المثالية لا تؤمن بحقيقة العالَم الخارجي، فأفلاطون مثلًا يؤمن بحقيقة عالَم المُثُل، ويؤمن بأن الواقع المادي الحسِّي هو وهم غير حقيقي، وبالتالي فأي نقاش قد يدور في هذا الإطار لإثبات وجود الله أو صحة الدين؟!

فلا يُتصَوَّر حوار علمي دون فلسفة، ولا يتصور رد علىٰ ملحد دون فلسفة، فالفلسفة هي البحث العقلي الذي يدور به النقاش والرد، وبالفلسفة تُبنىٰ الأرض المشتركة ليدور عليها النقاش.

ثم في باقي الفصل الثالث من الكتاب خصص العمري حديثه في توضيح عدد من أخطاء داوكنز، ومع أن نقده ليس متسقًا، إلا أنه كان لا بأس به في إيضاح بعض النقاط.

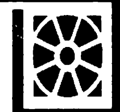
❁❁❁

الفصل الثالث

دفاع باستماتة







زعمه بوجود تجارب على التطوُّر الكبروي

ثم بدأ العمري في الفصل الرابع في سرد الاعتراضات علىٰ الداروينية، فوددتُ لو أنه سيفعل ذلك فعلًا، لكنه لسخرية القدر كان يحمل علىٰ عاتقه الرد علىٰ منتقدي النظرية، لا انتقادها وإبراز مشاكلها، وتبيَّن لي في تلك المرحلة أن العمري يعلم الفرق بين التطور الكلي والجزئي، حيث إنه في (ص١٨١) **يقول:** «ولا يقتصر أمر التطور التجريبي علىٰ (التطور الصغروي Microevolution) بل هناك تجارب عديدة تتدخل في الظروف المحيطة وبالطفرات الجينية للوصول إلىٰ (التطور الكبروي Macroevolution) رغم وجود حدود لهذه التجارب» انتهىٰ.

قلت: ذلك ليس دقيقًا أبدًا، فكل ما ذكره من تجارب للتطور الكبروي لم تنجح في تحويل فصيل من الكائنات الحية إلىٰ فصيل آخر، وقد أوردنا في هذا أنه لا يمتنع أصلًا التطوُّر الكبروي علىٰ الكائنات الحية دون الإنسان، ونحن مع هذا نعترف ونؤمن بحدوث تغيرات علىٰ المدىٰ الطويل للكائنات من النوع الواحد، لكن هذا لا يعني أن الإنسان كان له ذيل مثلًا، بل كان الإنسان أكثر قوة وأكبر حجمًا في الجسم كما نعلم من النصوص الدينية.

فذكر العمري عملية تحويل بعض الثعالب إلىٰ (ثعالب) أليفة خلال ستة عقود، وهذا ما لا يَعترض عليه عاقل أصلًا، لكنه مع ذلك قد ظل ثعلبًا، فلم يتحول إلىٰ قرد مثلًا، وبالرغم من انتقاده لريتشارد داوكنز في نهاية الفصل الثالث بسبب وقوع داوكنز المتكرر في مغالطة رجل القش، أي أن داوكنز يهاجم

الأفكار الدينية التي لم يقل بها الدين أصلًا، نجد أن العمري يقع في نفس المغالطة هنا، فمن ينتقد الداروينية من المتدينين لا يتحدثون عن التغيرات والتكيفات البسيطة التي تحدث داخل النوع الواحد، وذلك لأننا نؤمن بمثل تلك التغيرات من واقع النصوص الدينية، ولكن الانتقاد له رافدان:

أولًا: أن الداروينية تقول بتطور الإنسان عن سلف مشترك، وهذا يتعارض مع صحيح النقل الديني، وهنا موضع من مواضع الانتقاد.

ثانيًا: أن الداروينية تزعم تطور نوع من الكائنات الحية إلىٰ نوع آخر، وهو الموضع الذي نزعم أنه غير قابل للتجربة.

فبدلًا من ذلك افترض العمري أن انتقاد المتدينون للداروينية منبثق من أنهم يرون عدم وجود أي نوع من أنواع التطور حتىٰ بداخل النوع الواحد، وبذلك رد علىٰ الانتقاد المزعوم بتجارب لا يعترض المتدينون عليها أصلًا لِما بيَّنَّا.

كذبه على دكتور الكيمياء الحيوية مايكل بيهي

ثم يستمر العمري في الدفاع عن الداروينية بأنْ ردَّ علىٰ واحد من أشهر نقاد التطوُّر وهو الدكتور مايكل بيهي، وبالرغم من أنه تطوُّري إلا أنه كمتخصص في الكيمياء الحيوية قد صنَّف في هذا الصدد ما يلقي الضوء علىٰ مشكلة التعقيد الغير قابل للاختزال في الخلية، وهو نظام تعتمد أجزاءه كليًّا علىٰ بعضها البعض، فلو زال جزء من الأجزاء لتعطل الآخر، وهكذا نظام لا يُمكن أن يتم صناعته عبر مجموعة من الخطوات المتتالية؛ لأن النظام بدون كافة أجزائه (أي: في مرحلة التطوُّر) هو غير فعَّال أصلًا.

ثم في (ص١٨٣) يقول: «حسب مايكل بيهي فإن هذا «التعقيد غير القابل للاختزال -لو ثبت وجوده- فإنه يقدم تحديًا قويًّا للداروينية»».

ولأن هذه الجملة قد يفهم منها البعض «سقوط النظرية» و«أنها خرافة» فإن مايكل بيهي ذاته واضح جدًّا في قبوله لفكرة «السلف المشترك لكل المخلوقات»، حيث لا يجد فيها مشكلة إطلاقًا، وكذلك هو يقول بوضوح: إنه يجد أن الأدلة الجينية علىٰ القرابة بين الإنسان والشمبانزي قاطعة، حتىٰ لو كانت هناك أمور غير مفهومة حتىٰ الآن، إلَّا أن داروين كان مصيبًا في هذه النقطة» انتهىٰ.

قلت: واستدل العمري في الفقرتين بكتاب صندوق داروين الأسود، وكتاب حافة التطوُّر لمايكل بيهي، فهل قال مايكل بيهي ذلك؟ نعم، قال: إن «التعقيد غير القابل للاختزال -لو ثبت وجوده- فإنه يقدم تحديًا قويًّا للداروينية»(١)، لكن العمري اقتطع تلك الجملة من سياقها، فقد كان دكتور بيهي يبدأ في شرح الأمر للقارئ، كأن أكتب كتابًا لأثبت فيه بأن الانفجار العظيم غير ممكن، ثم أستهل كتابي بشرح نظرية تُدعىٰ نظرية (س)، ثم أقول: «فإن ثبتت نظرية (س)، فإن ذلك يعد تحديًا قويًّا للانفجار الكبير»، ثم أبدأ بعد ذلك أنا في شرح كافة إثباتات نظرية (س)!

---

(1) Darwin's Black Box, p 39.

ويقول العمري بأن بيهي يقول بوضوح: إنه يجد أن الأدلة الجينية علىٰ القرابة بين الإنسان والشمبانزي قاطعة، وذلك إما لقصور في فَهم العمري، وإما تدليسًا، فالنص الأصلي لمايكل بيهي في كتابه «حافة التطوُّر» يقول:

That strong evidence from the pseudogene points well beyond the ancestry of humans. Despite some remaining puzzles, there's no reason to doubt that Darwin had this point right, that all creatures on earth are biological relatives.

The bottom line is, Common descent is true; yet the explanation of common descent -even the common descent of humans and chimps- although fascinating, is in a profound sense **trivial**. It says merely that commonalities were there from the start, preset in a common ancestor. It does not even begin to explain **where those commonalities came from**, or how humans subsequently acquired remarkable differences. Something that is nonrandom must account for the common descent of life(1).

(1) Edge of Evolution, p 72.

ولا يخفىٰ علىٰ أحد الفارق الكبير بين ما ذكره العمري وبين حقيقة النص، أما الترجمة العربية فتقول: «يشير هذا الدليل القوي من الجين الزائف إلىٰ ما وراء أسلاف البشر. علىٰ الرغم من بعض الألغاز المتبقية، لا يوجد سبب للشك في أن داروين كان علىٰ صواب في هذه النقطة، وهي أن جميع الكائنات علىٰ الأرض هم أقارب بيولوجيون.

خلاصة القول: هي أن الأصل المشترك صحيح؛ ومع ذلك، فإن تفسير الأصل المشترك -حتىٰ السلالة المشتركة للإنسان والشمبانزي- علىٰ الرغم من كونه جذابًا، إلا أنه تافه بمعنىٰ عميق. إنها تقول فقط: إن القواسم المشتركة كانت موجودة منذ البداية، محددة مسبقًا في سلف مشترك. إنه لا يبدأ حتىٰ في شرح من أين أتت تلك القواسم المشتركة؟ أو كيف اكتسب البشر اختلافات ملحوظة؟ شيء ما غير العشوائية يجب أن يفسر الأصل المشترك للحياة».

يختلف ما قاله مايكل بيهي عما فهمه (أو أراد فهمه) العمري بشكل كبير، ومن ذلك وجوه عديدة كما في الآتي:

أولًا: يقول مايكل بيهي: إن الدليل الجيني يشير إلىٰ ما وراء أسلاف البشر، فهو لا يختص بأصل البشر، وإنما بالتصميم المشترك للكائنات الحية كافة، أي أن الدليل الجيني لا يختص بفكرة (الأصل المشترك) بمعنىٰ تطوُّر الفصائل فقط.

ثانيًا: يقول بيهي في نفس النص بأن فكرة الأصل المشترك بمعنىٰ تطوُّر السلالات من شامبنزي إلىٰ إنسان تافه بشكل عميق، وخص مايكل بيهي ذلك

كون الدليل الجيني يُستخدم بشكل كبير من قبل الملاحدة الجدد في إثبات الأصل المشترك للإنسان مع الشامبنزي بدعوىٰ التشابه الجيني، وتلك فعلًا فكرة تافهة كما يشير؛ لأن الإنسان يتشارك مع الموز بنسبة ٦٠٪ من الجينات![1] فهل تطوَّر أكثر من نصف الإنسان من الموز؟! بل ويتشارك الإنسان مع الفئران بنسبة ٨٥٪ من الحمض النووي، بل ومصادر أخرىٰ تشير إلىٰ أن التشابه بين الإنسان والفئران تزيد إلىٰ ٩٢٪، فهل ذلك يعني ضرورةً بأن الإنسان قد تطوَّر من الفئران كما قد يظن البعض، أم أنه يشير إلىٰ تصميم موحد في كافة الكائنات؟

ثالثًا: يقول بيهي بأن الداروينية تقول بأن القواسم المشتركة كانت موجودة منذ البداية، ولا تقوم مع ذلك الداروينية بشرح تطوُّر تلك القواسم المشتركة ولا كيف أتت من البداية، ثم يقول بأنها -أيضًا- لا تشرح كيف اكتسب الإنسان صفاته المميزة تلك، وهنا مجددًا نقول بأنه لا يمتنع عقلًا علىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن تكون سنته في خلقه بأن تطوُّر الكائنات الأدنىٰ من الإنسان من فصيل إلىٰ فصيل، ولكن الله أخبرنا بالوحي المعصوم بأنه قد كرَّم الإنسان وخلقه بيده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وحتىٰ إنه لم تأتِ أيُّ شريعة من الشرائع المحرَّفة قبل

(1) Breakthroughs.com. 2021. How Genetically Related Are We to Bananas? | Breakthroughs. [online] Available at: <https://www.breakthroughs.com/foundations-science/how-genetically-related-are-we-bananas> [Accessed 8 April 2021].

الإسلام بمثل تلك الادعاءات التطوُّرية.

ثم بعد ذلك ينهي مايكل بيهي كلامه فيقول بأن شيئًا ما غير العشوائية يجب أن يفسر الأصل المشترك للحياة، وهنا لا نختلف معه أبدًا لسببين:

أولًا: أنه كما أوردنا لا يمتنع أن تكون ذلك سُنَّة الله في خلقه دون الإنسان.

ثانيًا: أنه لو كانت تلك سنة الله في خلقه دون الإنسان لما صح وصفها بالعشوائية وإن بدت كذلك، فلا يصح أن نقول بأن الله ترك تلك الكائنات تُخلق بعيدًا عن إرادته ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم بعد ذلك، ألا يجدر بنا أن نفهم أن التشابه الجيني بين كافة مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دليل علىٰ خلقه لنا؟ ألا يعني ذلك نوع من التوقيع أو البصمة التي تدل علىٰ وحدانية الصانع لكافة المخلوقات؟ وأليس ذلك ما كان يعنيه ريتشارد داوكنز عندما قال بأن ذلك قد يدل علىٰ (حضارة من كائنات فضائية في مكان ما في الكون)؟!

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفِّفين: ١٣- ١٤].

ثم في (ص١٨٨) أثناء شرح العمري لأسباب رفض المجتمع العلمي التجريبي في الغرب فكرة التصميم الذكي بأي شكل من الأشكال **فيقول:** «بالإضافة إلىٰ أن الطبيعة المادية للعلم الحديث قد وضعت حدودًا صلبة تعتبر جزءًا من هُوية هذا العلم ولغة المشتغلين به، لغة تَعتبر أي إشارة إلىٰ ما وراء

هذه الحدود كسرًا للقواعد العلمية، وتجديفًا بالعلم، بل ربما تعده «علمًا مزيفًا pseudoscience»..» انتهىٰ.

قلت: مجددًا، فلسفة العلم التجريبية تعتمد علىٰ العقل لتعقُّل المدخلات الحسية، فالعقل ركن أساسي لا بد منه في العلم التجريبي، وهذا هو الركن الذي نزعم بأن من خلاله يمكن الوصول إلىٰ العلم اليقيني بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أيضًا، فإن العلم (المادي) -حسب قوله- إن كان متسقًا لآمن بما يدعوه (ما وراء الطبيعة) كون كل ما فيه تتعلق به الحواس رغم أنها غير محسوسة في الحياة الدنيا؛ لأنه من خلال العقل الذي هو ركيزة العلم التجريبي نستطيع التيقن من وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو ما يعرِّفه بما وراء الطبيعة، وهذا كله إن تم استخدام المعنىٰ العلمي الفلسفي لمصطلح (المادي) بناءً علىٰ علم الأنطولوجيا، وهو مبحث الوجود والموجودات.

ثم بعد ذلك يتهم العمري في صفحات كتابه أن كافة المؤلفات الناقدة للداروينية تصدر من مؤسسة ديسكفري فقط، وهي مؤسسة -حسب قوله- دينية تناصر الكتاب المقدس للنصارىٰ.

اتهامه لمعهد ديسكفري ودكتور جوناثان ويلز بخداع العوام

ثم يستمر العمري في سرد الكتب التي صنفها عدد من العلماء في نقد الداروينية، وأخذ علىٰ عاتقه مهمة الرد علىٰ تلك الكتب.

وقد كان نقد العمري لاذعًا لكل من سوَّلت له نفسه الاعتراض علىٰ دين

الداروينية، حتىٰ إنه في إطار تعليقه علىٰ كتاب «أيقونات التطوُّر: علم أم خرافة» لدكتور (جوناثان ويلز)(١) الحاصل علىٰ دكتواره في اللاهوت، ودكتواره في علم الأحياء الخلوي والجزيئي، **قال**: «أغلب الباحثين تعامل مع الكتاب علىٰ أنه محاولة خداع وتضليل مدعومة من مؤسسة ديسكفري التي يعمل فيها ويلز.

يقول ويلز بوضوح: إنه حصل علىٰ شهادة الدكتوراه في الأحياء ليحارب الداروينية بها» انتهىٰ.

قلت: إذن وبحسب العمري فإن مؤسسة ديسكفري ليست مؤسسة علمية، بل مؤسسة نصرانية تناصر الكتاب المقدس تتعمد تضليل وخداع العامة للخروج من نور الداروينية إلىٰ ظلام الدين!

وهذا لا يخفىٰ علىٰ باحث ولا طالب علم أنه تصريح بالغ الظلم في حق المؤسسة العلمية الأثقل والأكبر انتصارًا للتصميم الذكي علىٰ الأرض في يومنا هذا، فهي مؤسسة لديها عدد كبير جدًّا من العلماء والباحثين من كافة الأطياف والتوجهات.

ثم يشكك العمري في ويلز كونَه حصل علىٰ الدكتوراه أساسًا ليحارب الداروينية، ولكن ما الضير أصلًا في ذلك؟ فهل دراسة الفيزياء الكونية مثلًا

---

(١) جوناثون ويلز (بالإنجليزية: Jonathan Wells) عضو في مركز العلم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري يحمل شهادتي دكتوراه واحدة في البيولوجيا الخلوية والجزيئية من جامعة كاليفورنيا وأخرىٰ في الدراسات الدينية من جامعة يال.

لمزاحمة الملاحدة في هذا الحقل سبب منطقي للطعن في أصل العلم؟! فهذا تمامًا ما يُدعىٰ بمغالطة الجينات أو مغالطة الأصول، فإن نقد أصل الشيء لا يعني ضرورةً أنه خاطئ في ذاته، أي أن نقد الهدف الذي درس له ويلز الأحياء لا يعني أن علمه ذاته خاطئ، والعاقل سيشهد أنه في هذا النطاق جوناثان ويلز أكثر إفادة للإسلام من العمري نفسه.

رده على دكتور ستيفن مايرز (بتدوينة على الإنترنت) عن معضلة الانفجار الكامبري

ثم بعد ذلك في (ص١٩١) ينتقد في سطور معدودة كتاب «شك داروين» لستيفن مايرز (الحاصل علىٰ دكتوراه في فلسفة العلوم من جامعة كامبردج) لأنه تحدث عن معضلة الانفجار الكامبري، وقد رد العمري بأنْ اكتفىٰ بالقول بأن تلك معضلة قد حلت أصلًا قبل نشر مايرز لكتابه لكنه تجاهلها، وقد كان دليله علىٰ ذلك مقالتين علىٰ الإنترنت لمراجعة الكتاب، أي أن معضلة كبيرة كالانفجار الكامبري التي سببت الأرق لكثير من الدراونة قد حُلَّ في منشورين علىٰ الإنترنت دون معرفة ستيفن مايرز!

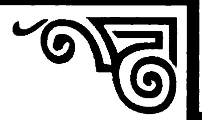
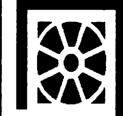
ثم تطرق سريعًا إلىٰ مشكلة عدم توفر الحفريات اللازمة للكائنات الانتقالية بين الأحياء، وقد حل المشكلة عبر الإحالة إلىٰ (ويكيبيديا)، ومن المعلوم أن (ويكيبيديا) ليس مصدرًا علميًّا البتة، بل وتحذر دائمًا الجامعات من

اتخاذ (ويكيبيديا) مصدرًا للمعلومات في الأبحاث والتكليفات[١]، لكنه مع ذلك لم يذكر أن عدد الحفريات المكتشفة حتىٰ الآن تمثِّل أقل من عُشر من الجزء من المئة من الكائنات الحية علىٰ مر التاريخ[٢].



(1) Wikipedia. (2007). In M. Parker, V. Fournier, & P. Reedy, The dictionary of alternatives. Zed Books. Credo Reference.

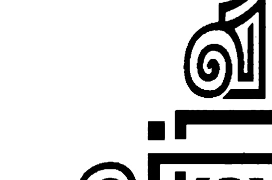
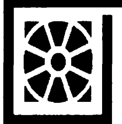
(2) Prothero, D. R. (1999). Fossil record. In R. Singer (Ed.), Encyclopedia of paleontology (3rd ed.). Routledge. Credo Reference.



الفصل الرابع

محراب داروين




وقوعه المتكرر في المغالطات المنطقية

يبدأ العمري بعد ذلك في فصل جديد للاعتراضات العقدية على الداروينية، فيستهل ذلك في (ص١٩٩) **فيقول**: «مبدئيًّا، نظرية التطور لا تبحث في هوية الخالق، بل في تفصيلات الخلق.

لذا، فإن مجالها الأساسي يفترض ألا يجعلها مؤهلة لجواب: هل يوجد إله؟» انتهى.

قلت: هو محقٌّ، ولكن مجددًا يقع في مغالطة رجل القش التي انتقد وقوع داوكنز فيها، فالداروينية مبحث في بدء الخلق، لا في وجود الخالق، ولكنها تعارض مع ذلك نصوص الوحي المعصوم، فلو كانت صحيحة لما كان الوحي صحيحًا، وبالتالي فإن دين الإسلام ليس شريعة الخالق، ولو كان الإسلام ليس بشريعة الخالق لما كان ليوجد سبب عقلاني للإيمان بالدين؛ فنحن نعلم أن كافة أديان الأرض -سوى الإسلام- محرَّفة؛ وبذلك فإن الداروينية تدعو بشكل أساسي إلى مذهب الربوبية (الذي كان معتقد داروين أساسًا)، أي أن الداروينية تقوم على عدم الإيمان بالأديان أصلًا، وإنما فقط تؤمن بوجود خالق خلق الكون وتركنا.

استدلاله بعدنان إبراهيم ومحمد الغزالي

ثم استدل بأن الإيمان بالإسلام لا يتعارض مع الداروينية بعدنان إبراهيم، وبمحمد الغزالي الذي قال بأن النظرية لا تؤدي حتمًا إلى الإلحاد في كتابه «ركائز الإيمان»، ولا يخفى على أحد أصلًا مخالفة كل من عدنان إبراهيم

ومحمد الغزالي للكثير من منهج أهل السنة والجماعة، وقد كتب في ذلك الكثيرون(١).

زعمه بأن داروين كان نصرانيًّا مؤمنًا أثناء صياغته للنظرية

ثم استمر العمري في (ص٢٠٣، و٢٠٤) في الدفاع عن نظرية (داروين المؤمن)، فلا أدري هل يعتقد العمري أن الربوبية هل -أيضًا- نوع من أنواع التدين؟ فهنا إما كان مدلسًا، وإما كان جاهلًا.

ثم في (ص٢٠٧) **يقول**: «ربما يمكن وصفه بأنه كان «ربوبيًّا» علىٰ الأغلب، يؤمن بخالق فحسب، وليس بالإله كما يقدم في الرؤية التوراتية - المسيحية.

لا شك أن هذا لن يجعله نموذجًا يُحتذىٰ من هذه الناحية، لكن الحديث عن إلحاده واعتبار النظرية تدعو إلىٰ الإلحاد لهذا السبب أمر لا يعدو أن يكون مبالغة وحماسة في العداء» انتهىٰ.

قلت: هنا يظهر أن العمري لا يعلم أن الربوبية إلحادٌ، أو لا يعترف بذلك، وهنا اختزل العمري الربوبية في الإيمان بخالق دون دين، ولكن ذلك تعريف مخلٌّ تمامًا، ويختلط بذلك عند القارئ المذهبُ الربوبي بعدد من المذاهب

---

(١) للاطلاع علىٰ غيض من فيض راجع كتاب أبي إسحاق الحويني: «سمط اللآلي في الرد علىٰ الشيخ محمد الغزالي»، وكتاب الأستاذ يوسف سمرين: «تناقضات منهجية نقد رسالة د. عدنان إبراهيم للدكتوراه».

الأخرىٰ. فمثلًا يوجد المذهب الشيئي (Ietism) والذي يؤمن بوجود قوة غامضة خالقة للكون، ولكنهم لا يعترفون بأكثر من ذلك، وهو مذهب منتشر جدًّا في الغرب بشكل عام، وهو مقارب إلىٰ حد كبير المذهب الربوبي إلا أن الشيئية مذهب فضفاض ومطاط بشكل كبير.

ولا يخفىٰ علىٰ أحد أن المذهب الربوبي لا يتوقف عند فقط الاعتراف (بقوة عُليا) أو (إله)، وإنما ينص صراحةً علىٰ وجود خالق له صفات ذاتية، وبالتالي فهم يؤمنون أن هذا الخالق قد خلق الكون وتركه دون أيِّ تدخل، وهذا هو الموقف الذي أسس داروين نظريته عليه تمامًا، فقد كان داروين ربوبيًّا ثم بعد وفاة ابنته فقَدَ الثقة في إيمانه بهذا (الخالق)، ولم يكن نصرانيًّا أثناء صياغته للنظرية ثم اعتنق الربوبية بعد انتهائه منها كما يدعىٰ العمري، بل وحتىٰ قد ذُكر في «موسوعة الفلسفة البريطانية» أن داروين برغم نشأته الأرثوذوكسية قد عرَّف نفسه بأنه لا أدري(١).

إلحاد داروين بسبب معضلة الشر

إن تحول داروين من الربوبية إلىٰ الإلحاد التام وإنكار الخالق (أو اللاأدرية) كان بسبب وفاة ابنته، وهو أمر مفهوم كون أن وفاة ابنته أثار لديه

---

(1) Holland, A. (2006). Darwin, Charles Robert. In The Continuum Encyclopedia of British Philosophy. : Continuum. Retrieved 28 Apr. 2021.

شكوكًا حول هذا (الخالق) ورحمته، وهو ما يُدعىٰ بمعضلة الشر، وهو مبحث كبير وضخم جدًّا، فمن المنطقي أن يتحول شخص مثل داروين الذي آمن بإله خلقه وتركه للطبيعة وقسوتها أن يفقد الثقة في هذا الإله بعد وفاة ابنته. فما الدافع الذي يجعله يتحوَّل فقط من النصرانية إلىٰ الربوبية بعد وفاة ابنته إذا كان في كلا الحالتين يؤمن بوجود إله خالق له صفات ذاتية؟ لكان من الأجدر أن يتحوَّل إذًا من النصرانية إلىٰ الشيئية مثلًا بسبب معضلة الشر.

لكن، ومع ذلك فإن المعلومة الأهم التي أخفاها العمري بقصد أو دون قصد هنا أن المذهب الربوبي يتسق تمامًا مع معتقد داروين اللاهوتي، فعقيدة الربوبي قبل داروين لا تختلف كثيرًا عما بعده؛ إلا أن داروين قد قدم للربوبي دليلًا ذا صبغة علمية لدعم إيمانه بأن الخالق قد تركهم فعلًا وأن اليهودية والنصرانية والإسلام محض افتراء علىٰ هذا الخالق.

زعمه بأن داروين لم يقل بالعشوائية وأن هتلر لم يتأثر بالداروينية

ثم يستكمل العمري بعد ذلك في جولات ونقاشات من الانتقاد لمبدأ العشوائية فقال بأن داروين لم يقل ذلك، ثم بدأ في الحديث عن هتلر والداروينية، ودافع عن الداروينية وحاول تبرئتها من أفعال هتلر، ففي (ص٢٢٦) **قال:** «عدا هذا كان هتلر يؤمن بأن «النقاء العرقي» يتضمن «ثبات الأنواع» - وهذا الاعتقاد بحد ذاته كان يشير إلىٰ مفهوم مضاد للداروينية» انتهىٰ.

قلت: هذا محض كذب أيضًا، فبدلًا من استعمال العمري لمقالات الإنترنت كان من الممكن له أن يقرأ كتاب هتلر نفسه المسمىٰ «كفاحي» والذي سرد فيه أفكاره بشكل واضح وصريح، ويظهر بذلك فساد قول العمري من وجهين:

أولًا: أنه ولو حتىٰ لم يؤمن داروين نفسه بفكرة البقاء للأصلح، وإن لم يقل ذلك صراحةً في كتابه «أصل الأنواع» فإن ذلك لا يعنينا في شيء، فإنما نحن ننتقد النظرية والفكرة والطرح نفسه، وننتقد النتائج العقلانية المنطقية لهذا الطرح، ولا يهمنا بشكل أساسي داروين نفسه وحسن نيته.

ولذلك فإيمان داروين من عدمه بالأفكار الاجتماعية والسياسية لهتلر لا يعنينا في شيء؛ لأنه ولو لم يؤمن بذلك فإننا نعرف يقينًا أن أفكار هتلر الاجتماعية والسياسية نتاج طبيعي للعشوائية ولمفهوم البقاء للأصلح، فهنا يدافع العمري عن أمر لا يعنينا أصلًا.

ثانيًا: هتلر بالطبع قد تأثر بالفكر الدارويني، وقد قال صراحة في كتابه (كفاحي): «ليس في هذا ما يدعو إلىٰ العجب، فالتزاوج بين كائنين متفاوتي القيمة هو تحدٍّ لإرادة الطبيعة التي تسعىٰ إلىٰ رفع مستوىٰ الكائنات، وهذا لا يتحقق إلا بانتصار مَن اختارتهم الطبيعة، فالقوي مدعو للسيطرة علىٰ الضعيف، وإذا لم يحافظ البشر علىٰ هذا النظام الأساسي **فإن تطور الكائنات** المنظمة سيصاب بنكسة خطيرة»(١) انتهىٰ.

---

(١) أدولف هتلر، «كفاحي»، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت - لبنان، (ص٩٦).

قلت: هنا هتلر دوَّن تلك الكلمات بشكل قاطع لا يقبل التأويل، وهو يرىٰ بذلك أن التزاوج بين العرق الآري الأكثر تطوُّرًا من وجهة نظره مع الأعراق الأدنىٰ مثل الأفارقة مثلًا (من وجهة نظره) لهو تحدٍّ للطبيعة حسب تعبيره، وهذا يصيب تطوُّر الكائنات بنكسة خطيرة!

ولم تكن تلك بفكرة جديدة قال بها هتلر وحده، وإنما لا يخفىٰ علىٰ أحد حقيقة وجود حدائق حيوانات البشر التي استعرض فيها الأوروبيون الأطفال الأفارقة كونهم أشبه للشمبانزي منهم إلىٰ الإنسان حسب الداروينية. ومجددًا، حتىٰ لو لم يعتقد ذلك داروين نفسه، وإن لم يصرح بذلك، فهذا لا ينفي حقيقة أن هذه الأمور كانت من التداعيات الطبيعية للفلسفة الداروينية الاجتماعية.

بعد ذلك حاول العمري بكل الطرق أن يثبت لنا أن هتلر لم يتأثر مباشرة من داروين، وذلك بذكر مقالات مختلفة، وبذكر أي مصدر مهما كان متهافتًا ليثبت لنا أن فكرة تفوق العرق الآري التي جاء بها هتلر كانت موجودة حتىٰ من قبل داروين.

ومع ذلك، فلو حتىٰ ثبت ذلك، فهل هذا يتناقض مع كون أن الداروينية قد أضفت طابعًا علميًّا للنظرة الفوقية لهؤلاء البُلَهاء الذين آمنوا بتفوق العرق الآري؟

يقول ريتشارد وايكارت في كتابه «من داروِن إلىٰ هتلر»: «ففي ذهن هتلر كانت الدارونية تقدم التبرير الأخلاقي لعمليات التعقيم الجماعي والنقاء العرقي والمذابح الجماعية وغيرها من السياسات غير الأخلاقية وفق المعايير

الإنسانية الطبيعية، وقد وفرت نظرية التطور الأهداف النهائية لهذه السياسات للتحسن البيولوجي للأنواع البشرية»(١).

زعمه بأن النظرية كانت تُستغل في تحسين أوضاع البشرية فقط

ثم يستمر العمري في إتحافنا في (ص٢٢٩) **فيقول:** «ليس ما سبق تبرئةً لنظرية التطور من تهمة استغلال سياسي، فهي كأي نظرية علمية يمكن أن تطوع في أي اتجاه، بل إن هناك من تعامل معها علىٰ أنها ساهمت في تحرير العبيد في أمريكا» انتهىٰ.

قلت: أي أن استغلال الداروينية في السياسة من وجهة نظره إنما تكون فقط في الأمور الحسنة حصرًا، وكأن الداروينية معصومة من الاستخدام (الخاطئ)! هذا إن سلمنا أن استخدام هتلر للداروينية مثلًا كان استخدامًا خاطئًا من وجهة نظر النظرية نفسها.

انتقاده للإسلاميين ورميهم بالتحجُّر

ثم بعد هذه الصفحات يبدأ العمري في انتقاد مفهوم «نظرية المؤامرة الصهيونية» والتي حسب قوله من الأسباب (المفبركة) التي استخدمت في العالم الإسلامي لنقد النظرية، وهذا ما لم أسمع به من قبل، وهذا ليس بنقد علمي أصلًا ولا يعنينا، فلا هو مبحث علمي تجريبي، ولا مبحث علمي عقدي.

---

(١) ريتشارد وايكارت، «من دارون إلىٰ هتلر»، (ص٢١٥).

ثم عكف علىٰ ذكر اقتباسات أخذها من كتب مختلفة لعلماء وشيوخ معاصرين ينتقدون النظرية بطرق شتىٰ لا علاقة لها بالمؤامرات، وإنما انتقادات معتبرة، واكتفىٰ بالقول أن تلك الكلمات من تصانيف مختلفة منتشرة في الأوساط الإسلامية المتشنجة، أي أنها نماذج غير جديرة بالرد العلمي حسب اعتقاده، فلم يتطرق إلىٰ الرد علىٰ ما ورد في تلك الاقتباسات، وإنما أوردها لبيان تهافتها إلىٰ القراء!

ثم كعادة (المفكرين المجددين) أمثال العمري، فلا بد من إقحام مصطلح (السلفية) و(الجهادية) في أي أمر قد يوحي للقارئ بالجهل؛ ليربط بين السلف والجهل، ففي (ص٢٤٤) **يقول:** «أغلب المقتطفات السابقة كانت من تيارات الإسلام السياسي، أو من تيارات عامة أقرب للمحافظة أو السلفية «العلمية»... مع استثناء وحيد مستقل.

لكن ماذا سيحدث لو دخل تيار السلفية الجهادية، تيار التكفير، بكل لهجته السلطوية الآمرة الحاسمة إلىٰ النقاش؟ وما سبب دخول هذا التيار أصلًا إلىٰ هذا النقاش؟» انتهىٰ.

قلت: محاولة الربط بين الانتقادات الإسلامية بالتيار السلفي محض افتراء، فهل دكتور عبد الوهاب المسيري صاحب «موسوعة اليهود واليهودية» الذي انتقده العمري في كتابه كان سلفيًّا؟ بالطبع لا، لكن هذا النهج دائمًا يتبع من أمثال العمري لجذب الأوساط العلمانية لأفكاره، وهذا النهج ليس خاصًّا بالعمري وحده، فنجد أن أحمد بحيري مثلًا مشهور اليوتيوب لا يخلو حديث

له في هذا الإطار إلا واتَّهمَ معارضيه بالسلفية و(الوهابية) وغير ذلك لتمرير أفكاره لجمهوره، ولإضفاء نوع من المصداقية الزائفة علىٰ الحديث.

أحمد بحيري كذراع إعلامي للعمري في بث أفكاره في أوساط عامة الإسلاميين

فلا يخفىٰ علىٰ أحد أن التعاون مثلًا بين أحمد بحيري هذا وأحمد خيري العمري هو تعاون معلن برغم انتماء كليهما لتيارات سياسية متعارضة ظاهريًّا، فيمثل حاليًا أحمد بحيري الواجهة المرئية علىٰ اليوتيوب لأفكار أحمد خيري العمري، فهو يعمل علىٰ نشر وشرح أفكار العمري الواردة في كتبه من خلال تسجيلها في حلقات مرئية ليبُثها للملايين من الأوساط الإسلامية، ولا يخلو له حديث في هذا النطاق إلا وأضاف قائلًا: إن الفكرة المضادة للطرح الذي يقدمه ما هو إلا تعنت وجهل من التيار السلفي (الوهابي) الذي احتكر فهم الدين وغير ذلك من الأكاذيب والترهات.

فعندما تحدث بحيري عن الجنة والنار مثلًا، قال بأن الإسلام ليس بشرط لدخول الجنة، وهذا ما يدين به هو والعمري، ثم بدأ في تفسير الآيات ذاكرًا تفسيرات العمري الواردة في كتاباته، مخالفًا بذلك إجماع المسلمين كافة، ثم لم ينسَ حينها أن يفتري علىٰ (السلفية) كونهم مخطئين برأيه لمَّا ظنوا أن الجنة للمسلمين فقط دون غيرهم، ثم يضيف بعد ذلك بحيري طابعًا سياسيًّا ليجذب قلوب جمهوره المستهدف أكثر وأكثر، فلم ينس إضافة بضعة كلمات في النهاية مثل أن (الوهابية) ما هم إلا عملاء منذ القدم للمملكة العربية السعودية، وما

ذلك إلا تعنت منهم وما شابه؛ وذلك لعلمه بأن شريحة من جمهوره تعترض سياسيًّا علىٰ المملكة، فهو يضيف بذلك نوع من الحجة (الشعرية) لما يقدمه من طرح مخالف لأهل السنة، الذين يدعوهم بالوهابية.

تفسيره الفاسد للآية الكريمة: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١]

ثم يبدأ العمري رحلة الترقيع في الفصل السادس والذي أسماه: «تأملات إيمانية في نظرية التطوُّر»، فبدأ في (ص٢٤٧) **بقوله:** «إيمانك أخبرك بأنه قد جاء عليك حين من الدهر لم تكن فيه شيئًا مذكورًا..، وأنه خلقك سبحانه من لا شيء» انتهىٰ.

قلت: بل إن تفسير الآية الكريمة: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١] هو في إطار مختلف تمامًا عما يشير إليه الكاتب، **فقال البغوي في «تفسيره»:** «﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: **يعني آدم** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾: **أربعون سنة ملقًىٰ من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح.**

﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾: لا يُذكر ولا يُعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به. يريد: كان شيئًا ولم يكن مذكورًا، وذلك من حين خلقه من طين إلىٰ أن نفخ فيه الروح.

روي أن عمر سمع رجلًا يقرأ هذه الآية: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ فقال عمر: ليتها تمَّت، يريد: ليته بقي علىٰ ما كان. قال ابن عباس: ثم خلقه بعد

عشرين ومائة سنة» انتهىٰ.

قلت: وهنا لا يخفىٰ علىٰ أحد أن تفسير الآية من قِبل الصحابة -رضوان الله عليهم- كان في إطار قصة بدء الخلق لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهل نكذِّب الصحابة الكرام؟!

وباختلاف التفسيرات، فإن كلها في إطار بعيد تمامًا عما يريده العمري، فقد ذكر السعدي في تفسيره للآية: «ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها. فذكر أنه مر عليه دهر طويل وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكورًا» انتهىٰ.

قلت: فباختلاف التفسيرات، فلا تشابُه ولا تماثل بين تفسير المفسرين والصحابة الكرام وبين طرح العمري للداروينية باستخدام الآية.

اختزاله العقل في الدماغ كعامة الملاحدة

ثم يبدأ بعد ذلك العمري في كتابة رواية التطوُّر الدارويني كما يراها هو بنسق لا يتعارض مع الدين في ظنه. ويستمر الروائي في سرد القصة حتىٰ يصل إلىٰ (تطوُّر الدماغ) في (ص٢٨٢) **فيقول:** «تحول الأمر في رحلة الدماغ من خلايا أقصىٰ قدرتها تتمثل في «الاستشعار» و«الاستجابة» في الكائنات أحادية الخلية.. إلىٰ جهاز معقد شديد التخصص احتوىٰ الإدراك والوعي والمفاهيم المجردة، تمكن من اختراع الكتابة والعجلة والأعداد والمنطق وبناء الأهرامات والجنائن المعلقة والوصول إلىٰ القمر، تمكن من إبداع الفن والموسيقىٰ والأدب» انتهىٰ.

قلت: مجددًا يتبنىٰ العمري الموقف الفلسفي الشعبوي للملاحدة الجدد في مسألة العقل والدماغ، فالتوجهات الفلسفية والنظريات الخاصة بالعلاقة بين العقل والدماغ بين المادية والمثالية كثيرة ومختلفة.

كنت قد خصصت في هذا المبحث فصلًا كاملًا في كتابي «برمجة الذكاء الاصطناعي: مقدمة في تَعَلُّم الآلة نظريًّا وتطبيقيًّا»، وقد فصلت في عرض الآراء الفلسفية في ذلك الأمر، فنحن لدينا في هذا الأمر نظرية «هوية العقل»، ونظرية «الوظائفية»، و«المادية الإقصائية» وغيرها العديد.

أما ملخص البحث فكان أن القطع بأن العقل والدماغ هما نفس الشيء مذهب ليس بصحيح متماسك علىٰ الأغلب؛ وذلك لعدد كبير من الأبحاث التي تمت علىٰ المصابين بالحالة الإنباتية الدائمة وغيرهم، مثل دراسات دكتور (روجر سبيري)، ودكتور (أدريان أوين)، و(ويلدر بنفيلد) وغيرهم، والتي أثبتت بشكل راجح أنه لا يمكن البت بتطابق العقل والدماغ، فلا مراكز في الدماغ لكل شيء، فلا يوجد مركز للتفكير في السياسة، ولا مركز للقيام بعمليات حسابية مثلًا، وقد قامت دراسة أدريان أوين في عام ٢٠٠٦م بتثبيت هذا الأصل، فأثبتت أن بعض المرضىٰ الذين يعانون من تلف كامل في الدماغ يستطيعون مع ذلك القيام بعمليات حسابية(١).

---

(١) لمن أراد الاستزادة فليراجع كتاب: « Philosophy, Science and Religion for Everyone» الصادر من جامعة إدنبره الاسكتلندية، أو ليراجع لقاءات دكتور مايكل اجنور علىٰ قناة (Discovery) عن معضلة العقل والدماغ.

ويجدر هنا ذكر ملحوظة هامة، وهي أن عدم مماثلة الدماغ بالعقل لا يعني بالضرورة أننا ننتمي إلىٰ الفلسفة المثالية، فقد يكون الوعي والعقل مثلًا شيئًا من إفرازات الروح التي لا تعتمد أصالة علىٰ الدماغ إلا كمدخل من المدخلات، ونحن نؤمن كمسلمين أن الروح تُرىٰ بنص حديث الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالتالي فهي مادة بمعنىٰ أنها تتعلق بها الحواس لا بمعنىٰ أنها ذرات وإلكترونات وهكذا. وسأذكر هنا رأي ابن تيمية في العلاقة بين العقل والدماغ، وهي كلمات ضمنتها في المبحث الوارد في كتابي، وإنما أذكره هنا فقط لبيان أن الأمر ليس بتلك السذاجة التي يتحدث بها العمري، بل فيه خلاف كبير بين كافة الفلاسفة.

العقل والدماغ عند ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بدأت في تسليط الضوء علىٰ رأي ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة **فقلت:** «يقول شيخ الإسلام صاحب المؤلَّفات الَّتي لا نظير لها في عصره، أحمد عبد الحليم ابن تيمية في موسوعته «درء تعارض العقل والنَّقل»: إنَّ «العقل الفاعل فعلًا باختيار يتصوَّر ما يريد أن يفعله في نفسه، ثمَّ يُوجِده في الخارج، فتلك الصُّورةُ الموجودة في الخارج بفعله، ليست هي الصُّورة المعقولة بذهنه، كمَن أراد أن يصنع شكلًا مثلَّثًا أو مربَّعًا، أو يصنِّف خطبة، أو يبني دارًا، أو يغرس شجرًا، أو يسافر إلىٰ مدينة، فإنَّه يتصوَّر ما يريده ابتداءً، فتكون له صورة عقليَّة في نفسه، قبل صورته الَّتي توجد في الخارج» وهنا تبرز إشكاليَّة كبيرة في فلسفة العقل، فهل الصُّورة المعقولة يُمكن محاكاتها؟

ينظر ابن تيمية للعقل بشكل عام أنَّه مرهون بالقلب، لكنَّه مع ذلك قد لا يقصد ضرورةً عضو القلب الجسدي، فيقول -أيضًا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: العقل بالدِّماغ كما يقول كثير من الأطبَّاء، ويقول طائفةٌ من أصحاب الإمام أحمد: إنَّ أصل الفعل في القلبِ، فإذا كمل انتهىٰ إلىٰ الدِّماغ». أي أنَّ علماء عصره كانوا يقولون بارتباط العقل بالدِّماغ، وذلك ليس علىٰ سبيل اليقين، لكنَّه مع ذلك يعتقد بأنَّ أصل الفعل في القلب.

ويقول -أيضًا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكن مبدأ الفكر والنَّظر في الدِّماغ، ومبدأ الإرادة في القلب. والعقل يراد به العلم ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياريُّ أصلُه الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدًا ألَّا بعد تصوُّر المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوِّرًا، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدِّماغ، وآثاره صاعدة إلىٰ الدِّماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء، وكلا القولينِ لهما وجه صحيح».

وبالرَّغم من أنَّه قد يفهم قول ابن تيمية: «فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء» في هذا الموضع، باعتقاده أنَّ العقل والدِّماغ شيء واحد، ألَّا أنَّه يؤكد قبل ذلك ارتباط الإدراك العقليِّ بالدِّماغ، وهي علاقة دقيقة لا يُفهم منها الوِحدة.

وقد كانت وجهة نظر ابن تيمية في العقل والدِّماغ مقاربة إلىٰ حدٍّ كبير لوجهة نظر الفيلسوف الفرنسيِّ هنري برجسون، حيث يقول: إنَّ الدِّماغ مجموعة من التَّصوُّرات، أمَّا الإدراك فهو القوَّة التي تختار من التَّصوُّرات ما تريد، أمَّا الدِّماغ فهو المجرىٰ الذي يسير فيه تيار الإدراك، ومعلوم أن المجرىٰ

وما يجري فيه شيئان مختلفان! لكن الجدير بالذِّكر أن ميلاد شيخ الإسلام ابن تيمية كان قبل هنري برجسون بحوالي ٥٩٦ سنة!» انتهىٰ.

سجوده في محراب نظرية التطوُّر!

ثم يستمر العمري بأسلوب الرواية في كتابة فقرة عجيبة **فيقول**: «أما العقل المؤمن، فهو **يسجد في محراب نظرية التطور** ويهمس: سبحانك ما أعظمَ شأنَك.. سبحانك ما أوضحَ برهانَك!..» انتهىٰ.

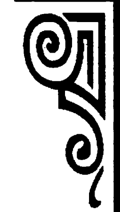
قلت: عجيب هذا القول، فهل العمري (يسجد في محراب نظرية التطور)؟! أليست مبالغة بعض الشيء؟!

ثم يقول: (ما أوضحَ برهانَك!)... فالآن جعل العمري من التطوُّر الداروني (برهانًا واضحًا) علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك بالرغم من أنه يرفض البرهان اليقيني علىٰ وجود الله، إلا أنه يعترف بالداروينية كبرهان علىٰ وجود الله!









الفصل الخامس

خاتمة عن الكتاب







لا أزيد في الخاتمة هنا عما كتبت في المقدمة... علىٰ العمري الكثير من علامات الاستفهام، فتجرُّؤه علىٰ الحديث فيما ليس له به علم يثير الدهشة، ويعوزه الكثير من المراجعات في كافة آرائه العلمية والفلسفية، وبالطبع العقدية، فهو دارويني أكثر من ريتشارد داوكنز ولورانس كراوس أنفسهم!

المثير للدهشة أن العمري يعترف بأنه لم يدرس علوم الشريعة، وكذلك لم يدرس الفلسفة (وإن لم يعترف بذلك صراحةً كون الأمر واضحًا للغاية)، ومع ذلك فهو لا يشعر بأيِّ حرج عند الخوض في تفاصيل الأحياء، وفي تفسير الآيات القرآنية الكريمة.

أيضًا، من المثير للدهشة أن العمري أراد من كتابه التوفيق بين الداروينية والإسلام، ولو قارنَّا حجم حديثه عن العلم وفلسفته بحديثه عن الدين لوجدنا أن معظم حديثه كان بشكلٍ أساسي دفاعًا عن الداروينية من الناحية العلمية التجريبية، وليس في التوفيق بين الداروينية والإسلام؛ لذلك فهو قد أثار الشبهات أكثر مما أجاب.

أيضًا، نلاحظ أنه لم يذكر ولم يقتبس أيَّ شيء في جُلِّ ما ذكرناه من كتب علماء السلف، فلم يذكر تفسيرًا واحدًا من المفسرين، ولا حديثًا نبويًّا واحدًا حتىٰ، بل يعتمد كليًّا في تفسيراته الشرعية كلها علىٰ رأيه الخاص فقط، وهذا ليس بعلم، بل تجرؤ وجهل محض!

وما ذكر العمري أيَّ اقتباسات من أيِّ مُصَنَّف إسلامي إلا علىٰ سبيل بيان خطئه وتهافته فقط (حسب ظنه)، أو علىٰ سبيل ذكر مجمل عام؛ ليتمكن من

تحويل المعنىٰ حسب هواه دون أي قرينة، فتجده مثلًا في أثناء رده علىٰ دكتور إياد قنيبي في آخر كتابه قد حاول الدفاع عن تعريفه الخاص للإيمان **فقال**: «لكن ما هو تعريف الإيمان في كتب العقيدة؟

إقرار باللسان، وتصديق بالجَنان، وعمل بالأركان.

والجَنان: هو القلب.

بالنسبة لي، ولكثيرين غيري، القلب غير العقل، تصديق القلب يحتاج إلىٰ شيء آخر غير «الأدلة العقلية» -التي لا يقلل أحد من أهميتها-.. ولكن القلب يحتاج إلىٰ «شيء آخر» غير العقل.. يحتاج التسليم الذي يشبه القفزة الواثقة بأنك لن تسقط في الفراغ» انتهىٰ.

قلت: هنا علم بوجود ما يُسمىٰ بكتب العقيدة، وأن تلك الكتب تبحث في مسمىٰ الإيمان ومعانيه وشروطه وأركانه ونواقضه وغير ذلك، لكنه اقتبس في هذه الفقرة ما أراده فقط دون أي تفصيل لتعريف الإيمان في كتب العقيدة، فلم يذكر شرحَ عالِم ولا تفصيل مُفَصِّل، بل بدأ في شرح التعريف المجمل المقتبس من كتب العقيدة عبْر رأيه الخاص فقط.

ثم تشنج العمري في نهاية كتابه **ليقول**: «ما الذي سينتج عن هذا؟ المزيد من التشنج في النقاش.. المزيد من البعد عن المنهجية العلمية، وبالتالي عن العلم.. عن «أي منجز علمي» حقيقي.. المزيد من التطرف والتشدد.. المزيد من فرض «رؤية واحدة للدين» علىٰ الناس جميعًا..

في المآلات النهائية للأمر: وبوجود عوامل أخرىٰ معقدة، سيكون هناك المزيد من الفكر «الداعشي»، والمزيد من الإلحاد.. وكل منهما يتغذىٰ بوجود الآخر» انتهىٰ.

قلت: هنا يتبيَّن لنا إحدىٰ المواقف المتهافتة له أيضًا، فهو يرفض في تلك الفقرة (الرؤية الواحدة للدين)، أي أن الحق عنده يمكن أن يتعدد، وعنده يصبح الدين أمرًا خاصًّا ورؤية شخصية، فلا حق ولا باطل، فإما أن تقبل أيها المسلم بأفكار مثل هذا (المفكر الإسلامي)، وإلا أصبحت داعشيًّا!

أي أنه لا فرق بين سني وشيعي وأشعري وصوفي وإباضي، فكلهم يرىٰ الدين بطريقته الخاصة، ولا أحد له الحق في الاعتقاد بأن منهجه فقط هو الصحيح المطلق، وهنا يظهر لنا أحد أهم أفكاره، والتي يشترك فيها بالطبع مع السواد الأعظم من العلمانيين والعلمويين والملاحدة، أنه لا يوجد حق مطلق، وهو مذهب فلسفي يُدعىٰ بالنسبية «Relativism»، أي أن الحقيقة نسبية وليست موضوعية قطعية(١).

وهنا أتذكر اقتباسًا في هذا الصدد **يقول**: «ابْتُلينا بقوم يظنون أن الله ابتلاهم بقوم يظنون أن الحق المطلق معهم وحدهم، والحقُّ أنَّ الحقَّ واحد مطلق، وهو

(1) Baghramian, Maria and J. Adam Carter, "Relativism", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2021 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/spr2021/entries/relativism/>.

مع الفرقة الناجية من المسلمين دون غيرهم».

فلو كانت مثلًا عقيدةُ أهل السنة في صفات الله عَزَّوَجَلَّ حقًّا، وكانت عقيدة المعتزلة في صفات الله عَزَّوَجَلَّ -أيضًا- حقًّا، لكان ذلك جمع للنقيضين، وهو أمر مستحيل وممتنع عقلًا، ولا يختلف في ذلك العقلاء، فالحق واحد لا ثاني له، فالأول يثبت الصفة، والثاني ينفيها، فلا سبيل للقول بأن كلاهما علىٰ حق، وعليه فإن الدين ليس رؤية شخصية، ولو كان كذلك لما كان للقرآن والسنة وزنٌ، والعياذ بالله، ولم نكن لنؤمر باتباع نبينا الكريم وصحابته.

أسأل الله له ولنا الهداية والبصيرة واتباع الحق واجتناب الباطل.

منهجية التعامل مع التعارض الظاهري بين العلم والدين

في ديننا العظيم توجد نصوص قطعية الدلالة، ونصوص أخرىٰ ظنية الدلالة، أما الأولىٰ فهي «المُحكَم» من القرآن الكريم، وكذلك النصوص الواضحة البيِّنة من السنة النبوية الشريفة، وأما الثانية فهو «المتشابه»، وهو ما يحتمل أكثر من دلالة.

أما من جهة الإثبات فيوجد ما هو قطعي الثبوت، وظني الثبوت، فأما الأول فهو القرآن الكريم المعصوم والأحاديث الشريفة الصحيحة، سواء كانت الأحاديث متواترة أم آحادًا، فكلاهما مُعتبَر يؤخذ به طالما صحت الأسانيد(١).

---

(١) راجع في هذا كتاب: «تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين» لأحمد السيد، إصدار مركز تكوين.

=

يعمل مَن في قلوبهم زيغ علىٰ رد أحاديث الآحاد دفعة واحدة بالرغم من أنها تشكِّل معظم السنة النبوية المنقولة، وأيضًا يعمل أصحاب الآراء والأهواء علىٰ استخدام المتشابه من الآيات الكريمة لخدمة أهوائهم وآرائهم دون قرينة، أي أنهم لا يردونه إلىٰ المُحكَم، أما منهج أهل السنة والجماعة هو رد المتشابه إلىٰ المُحكَم، أي أنهم يعملون علىٰ تفسير النصوص المتشابهة علىٰ ضوء الآيات الأخرىٰ المُحكَمة، فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وأول ما يبدأ باستخدامه المفسرون لتفسير القرآن الكريم هو استخدام القرآن الكريم ذاته، فيجمعون بين النصوص، فلا يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعض.

وقد نبهنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن هذا فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾[آل عمران: ٧].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»: «أخبر تعالىٰ أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير

=

وراجع -أيضًا- كتاب: «مصادر التلقي ومسالك الفهم»، إعداد مركز صناعة المحاور، إصدار مركز تكوين، فقد خُصص الكتاب لمسألة مصادر المعرفة في الإسلام، وقد خصصوا موادَّ كاملة في حجية السنة وحجية إجماع العلماء والرد علىٰ شبهات الفرق الضالة.

من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلىٰ الواضح منه، وحكَّم محكمه علىٰ متشابهه عنده، فقد اهتدىٰ. ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد» انتهىٰ.

لذلك؛ فالحذر كل الحذر ممن فسَّر الآيات المتشابهات دون علم، فمن فعل ذلك فليس من العلم في شيء، بل هو من أهل الأهواء والضلال، واحذر ممن يرد السنة النبوية الشريفة، فقد أمرنا الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في القرآن ذاته باتباع رسولنا الكريم، بل وقد أمرنا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ باتباع المؤمنين، أي الصحابة الكرام واجماع العلماء؛ لأن اجماع علماء أمة الإسلام معصوم، فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء: ١١٥].

ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «وقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ. وقد وردت في

ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب «أحاديث الأصول»، ومن العلماء من ادعىٰ تواتر معناها، والذي عول عليه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الاحتجاج علىٰ كون الإجماع حجة تَحرُم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها علىٰ ذلك» انتهىٰ.

لذلك؛ فمن الواجب الحذر من لقب «الفكر الإسلامي» وهؤلاء «المفكرين» الذين لا علم حقيقي عندهم إلا الرأي الخالص، وهو كما أوردنا ليس بعلم، فقد حذرنا الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من الرأي والهوىٰ، وقد خَص ثناءه للمستنبطين، وهم العلماء الحق الأجلاء ورثة الأنبياء.

فإن قرأتَ لمن لا يقيم للسُّنَّة وزنًا، ولمَن لا يقيم لأقوال العلماء وزنًا، فاعلم أنه ليس من العلم في شيء، فمن يعتمد علىٰ الرأي الخالص دون قرينة من القرآن والسنة ومن أقوال العلماء الذين أفنوا أعمارهم علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا ليس بعالم، بل فيه من السفه والغرور ما قد يُهلِكه ويُهلكك، وأي غرور أكبر ممن ظن أنه اكتشف ما لم يعرفه أحد من آلاف العلماء خلال أربعة عشر قرنًا من البحث والاستنباط والدراسة؟!

إذًا، فما عليك فعله عند مواجهتك لأي تعارض ظاهري بين العلم التجريبي والدين يمكن تلخيصه في إطار عمل من أسئلة بسيطة قد تساعدك علىٰ بناء نظرة أولية دقيقة، حتىٰ قبل استشارة العلماء، وهي كالتالي:

١- اسأل نفسَك: هل هذه النظرية قطعية الدلالة؟ هل تفسيرها الذي أفهمه فعلًا هو التفسير الحقيقي لها؟

٢- اسأل نفسك: هل هذه النظرية قطعية الثبوت؟ ويُمكن الإجابة علىٰ ذلك بأكثر من طريق حسب نطاق النظرية، ويُمكن التثبت من الإجابة عبر طرح أسئلة أخرىٰ مثل: هل النظرية تصف ظاهرة طبيعية خارجية يُمكن قياسها بالحس المباشر؟ هل النظرية شق جزئي أم نموذج فلسفي كلي؟

٣- اسأل نفسك: لماذا تتعارض النظرية مع الإسلام العظيم؟ هل تتعارض النظرية مع نصوص قرآنية أم أحاديث شريفة؟ فإن كان نصًّا قرآنيًّا، فهل هو نص مُحكَم أم متشابه حسب تصنيف علماء أهل السنة؟ وإن كان حديثًا نبويًّا شريفًا، فهل هو صحيح الإسناد؟ وما مدىٰ صحته؟ وما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين والعلماء الذين فسَّروا الحديث؟ وكيف فسَّروه؟ وهل تفسيرهم للحديث حقًّا متعارضٌ مع النظرية العلمية؟

٤- اسأل نفسك: هل يوجد من علماء المسلمين المُعتبَرين الذين يتبعون منهج السلف مَن تحدَّث في هذا التعارض؟

لقد أوردنا منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع حالات التعارض بين العقل والنقل، وقد أوردنا تقسيم حالات التعارض إلىٰ أربع حالات:

١- قطعي الثبوت والدلالة النقلي، مع قطعي الثبوت العقلي.

٢- ظني الثبوت أو الدلالة النقلي، مع قطعي الثبوت العقلي.

٣- قطعي الثبوت والدلالة النقلي، مع ظني الثبوت العقلي.

٤- ظني الثبوت أو الدلالة النقلي، مع ظني الثبوت العقلي.

أما الأسئلة الأساسية السابق ذكرها فهي مَعنيَّة بتصنيف النقلي والعقلي، وذلك لنتمكن من تصنيف حالة التعارض إلىٰ حالة من الحالات الأربعة التي صنَّفها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأول سؤالين معنيَّان بتصنيف الخبر العقلي إلىٰ قطعي الثبوت أو ظني الثبوت. أما الثالث والرابع فهما مَعنيَّان بتصنيف الخبر النقلي إلىٰ قطعي الثبوت والدلالة، أو ظني الثبوت والدلالة.

فأول ما نحن معنيون به هو تصنيف الخبر العقلي ذلك -أي النظرية- إلىٰ قطعي الثبوت أو ظني الثبوت، فإن كانت النظرية غير قابلة للتجربة الحسية المباشرة مثل الانفجار العظيم مثلًا، فهي ظنية الثبوت، وذلك بالرغم من وجود مشاهدات حسية جزئية قد تساهم في ترجيحها، إلا أنها مع ذلك ليست قطعية الثبوت.

أيضًا، من المهم تصنيف الخبر العقلي ذلك ما إن كان شقًّا جزئيًّا أم نموذجًا كليًّا، أي هل النظرية معنية بجزئية محددة مثل الأمور التي من الممكن مشاهدتها وقياسها حقيقةً بالحس؟ كأن تكون النظرية عن مراحل تكوين الجنين البشري مثلًا، فإن كان شقًّا جزئيًّا فإن لها وزنًا وثقلًا أكبر من أن تكون نموذجًا فلسفيًّا كلِّيًّا كالتطوُّر الكبروي، أو كمبحث في أصل الكون، أو كمبحث في وجود كائنات حية في كواكب خارجية مثلًا.

أيضًا، من المهم التساؤل عن آراء العلماء في النظرية، فما مِن نظرية من النظريات إلا ولها معارضات شتَّىٰ من علماء معتبرين، حتىٰ وإن كان معمولًا بها وتُدَرَّس في الجامعات والأكاديميات، ومن المهم -أيضًا- التساؤل عن توجهات العلماء المؤيدين والمعارضين للنظرية، فإن للتوجهات الأيدولوجية

وزنًا لا يُستهان به في قبول ورفض النظريات والفرضيات العلمية؛ فلكل إنسان توجهات وعقيدة يناصرها مهما حاول التظاهر بالتجرد التام منها، فما تجرد منها إلا لمحاولة تمريرها إلىٰ الآخر في حقيقة الأمر.

فإنْ غلب الظن أن النظرية ظنية وليست قطعية، وهذا هو أغلب الحال أصلًا، فإنه يُقَدَّم النقل قطعًا في هذه الحالة علىٰ الظني، أي أنه واجب عليك في مثل تلك الحالة التسليم للنصوص النقلية؛ فحتىٰ لو كانت النصوص ظنية، فلا سبيل لتقديم الظني العقلي عليها، فهو تكليف خاص بالعلماء للبحث والبت في هذا الأمر، أما لو كان النص قطعيًّا، فلا بد من التسليم مباشرةً.

وفي حقيقة الأمر أنك ستجد في أغلب الحالات والمسائل أن النظرية العلمية غير قطعية، فأي شيء قد نظن أنه أكثر قطعية من قوانين نيوتن للحركة التي تعمل حتىٰ يومنا هذا؟ ومع ذلك فهي ليست قطعية! وأي شيء قد نظن أنه أكثر قطعية من نظريات العملاق آينشتاين؟ ومع ذلك فنظرياته ليست قطعية بالرغم من أن لها مشاهدات حسية كما بيَّنا، فإن كان الحال كذلك في الفيزياء، فما بالك بالعلوم الأخرىٰ ومباحثها التاريخية؟!

بعد ذلك، حري بنا فحص النصوص التي نظن أنها تتعارض ظاهريًّا مع النظرية العلمية، فإن كانت نصًّا من القرآن الكريم، فهو قطعي الثبوت، أما لو كان حديثًا شريفًا فيجب التوقف والتحقق فيما كان إسناده صحيحًا أم لا، ومَن صحَّحه؟ ومَن حسَّنه؟ ومَن ضعَّفه من علماء الحديث؟ فإن كان صحيحًا، فهو قطعي الثبوت.

ثم تأتي المرحلة الأخيرة، وهي فحص قطعية الدلالة للنص، فإن كانت آية قرآنية متشابهة، فتُرد إلىٰ المُحكَم، ولا يقوم بذلك إلا أهل العلم وطلبته، فحري بك الاستعانة بتفسيرات علماء أهل السنة وأقوالهم في الآية، فهم أعلم بالأحاديث النبوية الخاصة بتفسير الآية، وهم أعلم بآثار الصحابة والتابعين العالِمين بتفسيراتها، وهم أعلم بلغة العرب الأصليين.

ثم احْذر من اقتطاع أقوال العلماء، فهم ليسوا بمعصومين، فحريٌّ بك تتبع آراء المفسرين كافة، فقد يُجمِع أكثرهم ويختلف القليل منهم، ولا ندري أيهم يختلف، فحري بنا أخذ الأقوال المعتبرة المجمع عليها، ثم رد ذلك كله إلىٰ حالات التعارض الأربعة التي صنَّفها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن كانت النظرية قطعية الثبوت، والنَص الشرعي ظني الثبوت، أو كان قطعي الثبوت مع اختلاف كبير بين العلماء في تفسير دلالته بحيث لا يوجد فيه إجماع معتبر، فإنه يقدم القطعي، أي: العلم التجريبي؛ لأن النص يحتمل دلالات عدة، وذلك من رحمة الله تعالىٰ بعباده.

أما إن كانت النظرية ظنية الثبوت، والنص الشرعي فيه إجماع من حيث الثبوت والدلالة، فيقدم القطعي مطلقًا، أي: النص الشرعي؛ لأن النظرية أو تفسيرها في ذلك الحال ليس بمعصوم، أما الخبر عن الوحي فهو معصوم، ثم تذكَّر دائمًا أن الهزات العلمية في المجتمع الأكاديمي الغربي حادثة لا محالة.

أما إن كانت النظرية ظنية الثبوت، والنص الشرعي ظني الدلالة -أيضًا- ولا يوجد فيه إجماع مُعتبَر، أو كان النص الشرعي ظني الثبوت، فهنا يجب التوقف، فلا يقدم هذا علىٰ ذاك، وذلك متروك للعلماء للبتِّ فيه إذا شاء الله تعالىٰ.

أما لو كانت النظرية قطعية الثبوت، والنص الشرعي قطعي الثبوت والدلالة، فاعلم أنك قد أخطأت في تقدير قطعية النظرية أو قطعية النص الشرعي، فتعارُض العقلي القطعي مع النقلي القطعي محال، وإن كان هذا ظنك فعليك مراجعة العلماء المتخصصين في العقيدة الإسلامية والفلسفة، فهم أعلم الناس وأجدرهم بالبحث في مثل تلك الحالات، فاعلم أن ليس كل داعية أو شيخ قادرًا علىٰ إجابتك، ولا كل عالم قادرًا علىٰ إجابتك الإجابة الشافية الوافية، فمن العلماء من هو متخصص في الحديث، ومنهم المتخصص في التفسير، ومنهم المتخصص في الفقه، ومنهم المتخصص في العقيدة والفلسفة وعلم الكلام، فلكل مقام مقال، وتعارض العلم والدين يختص ببحثه علماء العقيدة والفلسفة، فعليك مراجعة متخصص موثوق يعمل علىٰ نهج أهل السنة والجماعة.

مؤلفات في حجية السنة والإجماع

فيما يلي مجموعة من المؤلفات المصنَّفة لتثبيت أصل حجية السنة وإجماع الأمة كمصدر مَعرفي في الإسلام العظيم، فلمن أراد الاستزادة في هذا الباب فليراجع بعضها:

١- «مصادر التلقي ومسالك الفهم»، إعداد مركز صناعة المحاور، إصدار مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

الكتاب سهل اللغة، وقد صنَّف مُعِدُّوه معجمًا للمصطلحات المعقدة في نهايته، وفيه مختصرات ومقدمات نقلية وعقلية لحجية السنة وإجماع العلماء كمصادر معرفية في الإسلام.

٢- «المعرفة في الإسلام.. مصادرها ومجالاتها»، الشيخ عبد الله القرني.

٣- «حراسة السنة.. رد شبهات وضلالات منكري السنة»، الشيخ محمد حسن عبد الحميد الشيخ.

٤- «تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين»، الشيخ أحمد السيد.

٥- «التحرير في أصول التفسير»، الشيخ مساعد الطيار.

٦- «منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة»، الشيخ أحمد الصويان.

٧- «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد»، الشيخ عثمان بن علي حسن.

٨- «مراتب الإجماع»، لابن حزم.

٩- «الإجماع»، لابن المنذر.

١٠- «الإجماع»، لابن القطان.



المراجع والفهرس






المراجع

أوَّلًا: المراجع العربية:

- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية.

- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية، ابن تيمية.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية.

- نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، ابن تيمية.

- فتاوى ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين.

- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، أبو علي الحسين بن سينا، طبعة آفاق، الأولى.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ط: مجمع الملك فهد.

- كتاب جامع المسائل لابن تيمية، ط: عالم الفوائد.

- موسوعة الفرق، الدرر السنية.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي.

- معالم التنزيل، الحافظ البغوي.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري.

- تفسير القرآن العظيم، الحافظ بن كثير الدمشقي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي.
- فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار.
- براهين وجود الله، د. سامي عامري.
- كفاحي، أدولف هتلر.
- صندوق داروين الأسود، مايكل بيهي.
- آينشتاين: حياته وعالمه، والتر إيزاكسون.
- الموسوعة العقدية للدرر السنية.
- موسوعة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، د. عمر سليمان الأشقر.
- دلائل أصول الإسلام، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
- فتاوىٰ ومسائل ابن الصلاح، ومعه آداب المفتي والمستفتي، ابن الصلاح.
- موقف ابن تيمية من المعرفة القَبْلية وشيء من آثاره الفلسفية، يوسف سمرين.
- سمط اللآلي في الرد علىٰ الشيخ محمد الغزالي، أبو إسحاق الحويني.
- تناقضات منهجية نقد رسالة د. عدنان إبراهيم للدكتوراه، يوسف سمرين.
- برمجة الذكاء الاصطناعي: مقدمة في تَعَلُّم الآلة نظريًّا وتطبيقيًّا، أحمد عصام النجار.
- الفقه الميسر، أ. د. عَبد الله بن محمد الطيَّار.

- الانتصار للتدسرية، تدعيم لمقاصدها ونقد للاعتراضات الأشعرية المعاصرة عليها، ماهر أمير عبد الكريم.

- قصة الفلسفة اليونانية، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، مؤسسة هنداوي سي آي سي، وندسور، المملكة المتحدة.

- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي.

- فقط ٦ أرقام، مارتن ريس، ترجمة مركز براهين.

- أصول الاعتقاد، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

- مصادر التلقي ومسالك الفهم، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

- آدم بين التطوُّر والتطوُّر الموجه والوحي، إبراهيم الشحات محمد خميس، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

- الأدلة العقلية النقلية، د. سعود بن عبد العزيز العريفي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز.

- من دارون إلىٰ هتلر، ريتشارد وايكارت.

- حجية السنة ونقض أصول المنكرين، أحمد السيد، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

- العقود الذهبية علىٰ مقاصد العقيدة الواسطية، د. سلطان العميري.

- الأساس في المنطق، أثر الدين الأبهري.

- المطلع شرح ايساغوجي في علم المنطق (ومعه حاشية الشهاب القليوبي علىٰ المطلع المسماه الدرة البهية علىٰ شرح المقدمة الايساغوجية)، بلال محمد حاتم السقا.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية:

- Hine, R., 2019. A Dictionary of Biology. 8th ed. Oxford University Press.

- Allaby, M., 2015. A Dictionary of Ecology. Oxford: Oxford University Press.

- Oxford Dictionary of Biochemistry and Molecular Biology, edited by Cammack, Richard, Teresa Atwood, Peter Campbell, Howard Parish, Anthony Smith, Frank Vella, and John Stirling. : Oxford University Press, 2006. https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780198529170.001.0001/acref-9780198529170.

- Dembski, William A.; Meyer, Stephen C. (2000). Science and Evidence for Design in the Universe: Papers Presented at a Conference Sponsored by the Wethersfield Institute, New York City, September 25, 1999. Proceedings of the Wethersfield Institute. 9. San Francisco, CA: Ignatius Press. ISBN 978-0-89870-809-7. LCCN 00102374. OCLC 45720008.

- (2003). "Design in the Details: The Origin of Biomolecular Machines". In Campbell, John Angus; Meyer, Stephen C. (eds.). Darwinism, Design and Public

Education. Rhetoric and Public Affairs Series. East Lansing, MI: Michigan State University Press. pp. 287-302. ISBN 978-0-87013-670-2. LCCN 2003020507. OCLC 53145654.

- (2003). "The modern intelligent design hypothesis: breaking rules". In Manson, Neal A. (ed.). God and Design: The Teleological Argument and Modern Science. London; New York: Routledge. pp. 277-291. ISBN 978-0-415-26344-3. LCCN 2002027548. OCLC 50447710.

- (2004). "Irreducible Complexity: Obstacle to Darwinian Evolution". In Dembski, William A.; Ruse, Michael (eds.). Debating Design: From Darwin to DNA. New York: Cambridge University Press. pp. 352-370. ISBN 978-0-521-82949-6. LCCN 2004047363. OCLC 54826160. "Papers from a conference, entitled Design and its Critics, held at Concordia University, Mequon, Wis., June 22-24, 2000".

- Singh, Thoudam Damodara (2005). God, Intelligent Design & Fine-Tuning: A Discussion Between Michael J. Behe and T.D. Singh. Kolkata, West Bengal:

Bhaktivedanta Institute. ISBN 978-81-89635-01-5. LCCN 2006554901. OCLC 70631564.

– (2007). The Edge of Evolution: The Search for the Limits of Darwinism. New York: Free Press. ISBN 978-0-7432-9620-5. LCCN 2007298379. OCLC 136958644.

– (2013). "Getting There First: An Evolutionary Rate Advantage for Adaptive Loss-of-Function Mutations". In Marks II, Robert J.; Behe, Michael J.; Dembski, William A.; Gordon, Bruce L.; Sanford, John C. (eds.). Biological Information--New Perspectives: Proceedings of a Symposium Held May 31, 2011 Through June 3, 2011 at Cornell University. Hackensack, NJ: World Scientific Publishing Co. pp. 450-473. ISBN 978-981-4508-71-1. LCCN 2013016707. OCLC 858441131.

– (2019). Darwin Devolves: The New Science About DNA That Challenges Evolution. San Francisco: HarperOne. ISBN 978-0062842619. LCCN 2018034062. OCLC 1049576124.

– Blackburn S. The Oxford Dictionary of Philosophy. 2 rev. ed. ed. Oxford University Press; 2008. https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/

9780199541430.001.0001/acref-9780199541430. Accessed April 28, 2021.

- The Continuum Encyclopedia of British Philosophy. Eds. Grayling, A.C., Naomi Goulder, and Andrew Pyle. : Continuum, , 2010. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199754694.001.0001/acref-9780199754694>.

- Oxford Reader's Companion To Conrad. Eds. Knowles, Owen, and Gene M. Moore. Oxford University Press, , 2011. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780198604211.001.0001/acref-9780198604211>.

- Concise Medical Dictionary. Oxford University Press, , 2010. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199557141.001.0001/acref-9780199557141>.

- A Dictionary of Physics. : Oxford University Press, , 2009. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021 <https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199233991.001.0001/acref-9780199233991>.

- Ridpath, Ian. A Dictionary of Astronomy. : Oxford University Press, , 2012. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199609055.001.0001/acref-9780199609055>.

- Nelson, R., 2008. The Penguin dictionary of mathematics. London: Penguin.

- Moore, P., 2002. Philip's astronomy encyclopedia. London [England]: Philip's.

- Martin, E., & Hine, R. (2008). A Dictionary of Biology. Oxford University Press. Retrieved 28 Apr. 2021, from

https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199204625.001.0001/acref-9780199204625.

- Encyclopedia of Evolution. Ed. Pagel, Mark. Oxford University Press, , 2005. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780195122008.001.0001/acref-9780195122008>.

- Flew, A. and Priest, S., 2002. A Dictionary of Philosophy. London [England]: Pan.

- Nietzsche, F. and Mencken, H., n.d. The antichrist.

- Cannon, John. The Oxford Companion to British History. Oxford University Press, , 2009. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199567638.001.0001/acref-9780199567638>.

- The Oxford Dictionary of the Middle Ages. Ed. Bjork, Robert E.. Oxford University Press, , 2010.

Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021

<https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780198662624.001.0001/acref-9780198662624>.

- Maseyk, K., 2021. S111 Questions in Science, Topic 4: Part 2 Mars and the origin of life 2.6.4 Panspermia. The Open University.

- Iannone, A., 2013. Dictionary of World Philosophy. New York: Routledge.

- National Academy of Sciences. 1999. Science and Creationism: A View from the National Academy of Sciences, Second Edition. Washington, DC: The National Academies Press. https://doi.org/10.17226/6024.

- The Oxford Companion to Ships and the Sea. Eds. Dear, , and Peter Kemp. Oxford University Press, , 2007. Oxford Reference. Date Accessed 28 Apr. 2021 <https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780199205684.001.0001/acref-9780199205684>.

- Liddle, A., & Loveday, J. (2008). The Oxford Companion to Cosmology. Oxford University Press.

Retrieved 28 Apr. 2021, from

https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780198608585.001.0001/acref-9780198608585.

- Fairbridge, R., 2012. Encyclopedia of Paleontology. Heidelberg, Germany: Springer-Verlag Berlin Heidelberg.

- Parker, M., Fournier, V. and Reedy, P., n.d. The dictionary of alternatives.

- Hunter, C., 2007. Science's blind spot. Grand Rapids, Mich.: Brazos Press.

- Hunter, C., 2003. Darwin's proof. Grand Rapids, Mich.: Brazos Press.

- HUNTER, C., 2019. DARWIN'S GOD. WIPF & STOCK PUB.

- T. Nagel, Secular Philosophy and the Religious Temperament; cp. 2010.

- Fricker, Elizabeth, 1994, “Against Gullibility”, in Knowing from Words: Western and Indian Philosophical Analysis of Understanding and Testimony, Bimal Krishna

Matilal and Arindam Chakrabarti (eds.), Dordrecht: Springer Netherlands, 125–161. doi:10.1007/978-94-017-2018-2_8.

- Lackey, Jennifer, 2003, "A Minimal Expression of Non-Reductionism in the Epistemology of Testimony", Noûs, 37(4): 706–723. doi:10.1046/j.1468-0068.2003.00457.x.

- 2008, Learning from Words: Testimony as a Source of Knowledge, Oxford: Oxford University Press.

- Lackey, Jennifer and Ernest Sosa (eds.), 2006, The Epistemology of Testimony, Oxford: Oxford University Press.

- Malmgren, Anna-Sara, 2006, "Is There A Priori Knowledge by Testimony?", The Philosophical Review, 115(2): 199–241.

- The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2020 Edition), Edward N. Zalta (ed.).

- Gregory, R. (2004). The Oxford Companion to the Mind. : Oxford University Press.

- Duncan Pritchard, Mark Harris. Philosophy,

Science and Religion for Everyone.

- Michela Massimi. Philosophy and the Sciences for Everyone.

- Mitchell S. Green. Know Thyself: The Value and Limits of Self-Knowledge.

- S. Tilman, D. Breuer & T.V. Johnson (Eds.), Encyclopedia of the solar system. (3rd ed.). [Online]. Oxford: Elsevier Science & Technology.

- O'Meara, S., & Dasch, E. (Eds.), A Dictionary of Space Exploration. : Oxford University Press.



الفهرس

❁❁❁

عن المؤلف:

أحمد عصام النجار، مهندس برمجيات، وطالب فيزياء فلكية «Astrophysics» بالجامعة المفتوحة البريطانية، وطالب عقيدة وفلسفة مشارك في عدد من البرامج العلمية.

لتقريب التراث والدراسات
العلمية والترجمة